المشرق



ٱلطِّرَازُ ٱلْمُعْلَمُ في مَدِيحِ مَرْيَمَ

نظم حضرة الشاعر المجيد الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي *

حُزْتِ يَا مَرْيَمُ مِلْءَ ٱلنِّعَمِ　　حِينَ تَصْوِيرِكِ ضِمْنَ ٱلرَّحِمِ

..

أَيُّ أُنْثَى وُلِدَتْ أَمْ ذَكَرِ　　مِنْ بَنِي حَوَّاءَ أُمِّ ٱلْبَشَرِ
لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ بِٱلْمُتَأَسِّرِ　　مَا خَلَا ٱلْعَذْرَاءَ ذَاتَ ٱلْعِظَمِ
وَٱبْنَهَا ٱلْمَوْلُودَ مُنْذُ ٱلْقِدَمِ (١

تِلْكَ خَوْدٌ إِذْ تَرَاءَتْ فِي ٱلرَّقِيعْ　　حَفَّهَا قَرْنٌ مِنَ ٱلشَّمْسِ بَدِيعْ

*) قد علّق حضرتهُ على هذه القصيدة تعليقات حسنة مع ذكر اقوال الآباء والليتورجيات الشرقيَّة التي بنى عليها كلّ دور وقد اضطرَّنا ضيق المكان الى الضرب على اكثرها .

١) راجع في مجلَّة المشرق الغرَّاء (٧: ٣٩٥–٤١١) هذا القول وما يليهِ في الحواشي من الاقوال واعلم اني اقتبستُ معظمها من مقالة الاب لويس شيخو اليسوعي المعنونة « عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقيَّة » ومن رسالة غبطة بطريركنا المفضال السيد افرام الرحماني المنشورة في ما نحن بصددهِ

وَعَلا أَخمَصَهَا ٱلْبَدْرُ ٱلرَّفِيعْ وبدا إِكْلِيلُهَا مِنْ أَنْجُمِ
فَوقَ رَأْسٍ بِٱلْبَهَا مُتَّسِمِ (١

حَوَتِ ٱلْحُسْنَ فَكَانَتْ دُونَ رَيْبْ ظَرْفَ ظَرْفٍ لَيْسَ فِيهَا نَقْصُ عَيْبْ
ذَاعَ ذَا مَا بَيْنَ أَنَامٍ كُلَّ صَوْبْ وَبِهِ قَالَ فُحُولُ ٱلْقَلَمِ
فِي نِظَامٍ أَوْ نِثَارِ ٱلْكَلِمِ (٢

فَإِذَا خَصَصْتُ بِٱلذِّكْرِ ٱلسَّلَفْ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّرْقِ أَصْحَابِ ٱلطُّرَفْ
جِئْتُ بِٱلْمُعْجِزِ يَبْقَى لِلْخَلَفْ فِي سَمَاءِ «ٱلْمَشْرِقِ» رَبِّ ٱلْحِكَمِ
شِبْهَ نَارٍ وُضِعَتْ فِي عَلَمِ

...

نَبَتَتْ عَوْسَجَةً مِنْ جَنَّةٍ وَهْيَ شِيمَتْ قَبْلُ فِي ٱلْبَرِيَّةِ
تَتَلَظَّى كَأَجِيمِ ٱلشُّعْلَةِ بِذَكَاءٍ فَلَّ ذِهْنَ ٱلْفَهِمِ
دُونَ أَنْ تَحْرَقَ مِثْلَ ٱلْأَجَمِ (٣

وَغَدَتْ سُوسَنَةً بَيْنَ ٱلْقَتَادْ (٤ وَتَبَدَّتْ جِزَّةً فَوْقَ ٱلْمِهَادْ
وَٱلنَّدَى ٱلثَّاوِي بِهَا أَحْيَا ٱلْعِبَادْ وَشَفَى فِيهِمْ صَدَى كُلِّ ظَمِي
ذَاكَ طَلٌّ مُخْجِلٌ لِلدِّيَمِ (٥

فَهِيَ أَرْضُ ٱلْبِرِّ بَلْ حَقْلُ أَمَانْ قَدْ خَلَا مِنْ شَوْكِ إِثْمٍ وَزُوَانْ

---

١) هذا نظم قول الرؤيا (١٢: ١): «ظهرت في السماء آية عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكبًا»

٢) طالع في المشرق (٧: ٤١٩-٤٢٢) نبذة للاب لويس شيخو موضوعها «العذراء مريم في الشعر العربي»

٣) اشارة الى علّيقة موسى التي كانت تتوقّد بالنار وهي لا تحترق (خروج ٣: ١و٢)

٤) راجع سفر نشيد الانشاد (٢: ٢)

٥) ورد ذكر جزّة جدعون المرموز بها عن العذراء في سفر القضاة (٦: ٣٦-٤٠)

وَهِيَ دَوْحٌ عِطْرُ رَوْحٍ جَنَانْ غَرَسَتْهُ يَدُ بَارِي ٱلنَّسَمِ
فِي جِنَانِ ٱلرُّوحِ مَسْرَى ٱلنَّسَمِ

أَثْمَرَتْ فِي حِينِهِ نَسْلَ ٱلْخُلُودْ فَأَتَانَا حَسْبَ مُقْتَضَى ٱلْعُهُودْ
وَبِهِ فُزْنَا بِغَايَاتِ ٱلسُّعُودْ وَعَلَانَا عَلَمٌ لِلسَّلَمِ
وَٱلْهُدَى أَعْظِمْ بِهِ مِنْ عَلَمِ

عِنْدَ إِذْ شَاءَ ٱلْإِلٰهُ ٱلْمُرْتَجَى مُنْقِذًا لِلْخَلْقِ مِنْ لَيْلِ دَجَا
وَضَعَتْهُ مَرْيَمٌ أُمُّ ٱلنَّجَا فَأَضَاءَتْ شَمْسُهُ فِي ٱلظُّلَمِ
وَأَنَارَتْ عَقْلَ أُولِي ٱلسَّقَمِ

..

هِيَ بِنْتُ ٱلْآبِ ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلصَّمَدْ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ أُمٌّ لِلْوَلَدْ
حَلَّ فِيهَا ٱتَّخَذَا مِنْهَا جَسَدْ مُذْ رَآهَا نُزِّهَتْ عَنْ وَصَمِ
كَمَلَاكٍ فِي صَفَاءِ ٱلشِّيَمِ

عَادَ إِبْلِيسُ لَدَيْهَا وَجِلَا جَلَّ رَبِّي مُجْتَبِيهَا وَعَلَا
مُنْذُ يَوْمِ فِيهِ نَالَتْ حَبَلَا أَنَّهَا جَنَّةُ ذَاتُ ٱلْعِصَمِ
فَأَتَتْ طَاهِرَةً لَمْ تُضَمِ

هِيَ حِصْنٌ بَابُهُ قَدْ أُوصِدَا سَهْمُ إِبْلِيسَ حِذَاهُ صَرِدَا
وَلَهُ فِي ٱلْخُبْثِ زَنْدٌ صَلَدَا حِينَمَا حَاوَلَ هَتْكَ ٱلْحَرَمِ
فَٱنْثَنَى يَقْرَعُ سِنَّ ٱلنَّدَمِ

حَاوَلَ ٱلْغِشَّ فَخَابَتْ حِيلَتُهْ وَرَمَاهَا فَأُطِيشَتْ نَبْلَتُهْ
فَٱغْتَدَى يَعْدُو وَخَارَتْ حَوْلَتُهْ وَٱتَّقَا مِنْ مَرْيَمٍ لَمْ يُهْضَمِ
مِثْلَ حَوَّا قَبْلَ خَطْبٍ عَمَمِ

أُمُّنَا حَوَّا أَحلَّتْ شَرَكَهْ وَأَتَاحَتْ لِبَنِيهَا ٱلْهَلَكَهْ
وَٱلْبَتُولُ ٱلْأُمُّ تِلْكَ ٱلْمَلَكَهْ سَحَقَتْ أَرْؤُسَهُ بِٱلْقَدَمِ
وَأَرَتْنَا سُمَّهُ فِي ٱلدَّسَمِ

كَأَلِيفَانَا قُوَاهُ ٱنْكَسَرَتْ مُذْ يَهُودِيتُ بِهِ قَدْ ظَفِرَتْ
فَٱنْبَرَتْ لَمَّا عَلَيْهِ ٱنْتَصَرَتْ تَزْدَرِي فِي بَأْسِهَا كُلَّ كَمِي
مِنْ صَنَادِيدِ كُمَاةِ ٱلْبُهَمِ

قَبْلَمَا هَامَانُ أَسْتِيرَ صُلِبْ بِدَبُورَا جَيْشُ يَابِينَ غُلِبْ
سِيسَرَا وَلَّى وَفِي ٱلْهَامِ ضُرِبْ بِيَدَيْ يَاعِيلَ وَسْطَ ٱلْخِيَمِ
يَا لَهَا مِنْ نَوْمَةٍ لَمْ تُتَمِ (١

إِنَّمَا ٱلْإِثْمُ جَنَا طُوفَانَ نُوحْ وَبَنَتْ مَرْيَمُ لِلدِّينِ صُرُوحْ
بَيْنَمَا نَبْكِي شَقَانَا وَنَنُوحْ بَشَّرَتْ بِٱلصُّلْحِ كُلَّ ٱلْأُمَمِ
تِلْكَ وَرْقَاءُ طُيُورِ ٱلنَّغَمِ (٢

ذٰلِكَ ٱلتَّابُوتُ فِي عَهْدٍ مَضَى كَانَ رَمْزًا لِلْمَسِيحِ ٱلْمُرْتَضَى
مُنْتَقًى مِنْ خَشَبٍ يَحْكِي ٱلْغَضَا وَيَسُوعُ مُجْتَبًى مِنْ مَرْيَمِ
جِسْمُهُ ٱلْأَنْقَى إِلَيْهَا يَنْتَمِي

هُوَ فِرْدَوْسٌ لِتِلْكَ ٱلْجَنَّةِ مُخْجِلٌ إِذْ هِيَ مَأْوَى ٱلنِّقْمَةِ
وَهُوَ فِيهِ حَلَّ مَوْلَى ٱلنِّعْمَةِ رَبُّنَا ٱلْقَادِرُ مُحْيِي ٱلرِّمَمِ

---

١) إنَّا نُلفي رمزًا الى مريم في دبورا وياعيل ويهوديت وأستير وغيرهنَّ من عقائل العهدِ العتيق كما أنَّا نُلفي رمزًا الى يسوع في اسحق ويوسف وموسى وداود وغيرهم من عقلاء ذلك العهد

٢) راجع سفر التكوين ٨ : ١١

مَصْدَرُ ٱلْجُودِ مَعِينُ ٱلْكَرَمِ

ذاكَ بَدْرٌ يَسْتَنِيرُ ٱلضُّعَفَا بِضِيَاءِ رَاقَ مِنْهُ وَصَفَا
وَإِذَا ٱلشَّاعِرُ يَوْمًا وَصَفَا حُسْنَهُ أَضْفَى كَمَنْ فِي بَكَمِ
وَهْوَ نَسَّاجُ ٱلطِّرَازِ ٱلْمُعْلَمِ

أَيْنَ قَوْلِي مِنْ ثَنَاهُ يَا تُرَى وَلَقَدْ أَعْجَزَ لُسْنَ ٱلشُّعَرَا
فَهْوَ نَارٌ وَهْوَ نُورٌ بَهَرَا فَبِوَهْجٍ مِنْهُ كُلٌّ قَدْ حَمِي
وَعَلَى غَيْرِ ٱلسَّنَا لَمْ يَحُمِ

وَلِذَا بُؤْتُ بِتَقْصِيرِي أَقُولْ يَا إِلٰهِي كُنْ مُعِينِي وَٱلْبَتُولْ
فِي وُعُوثٍ وَحُزُونٍ وَسُهُولْ وَٱدْفَعَنْ عَنِّي دَوَاعِي ٱلنِّقَمِ
فِي ٱبْتِدَا ٱلْعُمْرِ وَفِي ٱلْمُخْتَتَمِ

مريم العذراء في الشعر العامي

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قد كنا سابقًا في عدد المشرق الذي خصصناهُ بيوبيل الحبل بمريم العذراء البريء من الخطيئة الاصليَّة نشرنا بعض ما وقفنا عليه في دواوين الشعراء النصارى من الثناء على والدة الله. وكنَّا اشرنا آنئذٍ الى اقوال اخرى شاعت بين المسيحيين فتناقلوها وتغنَّوا بها وادخلوا بعضها في رتبهم الدينيَّة. وهذه الاقوال ليست في الغالب موزونةً على اعاريض الشعر العربيّ القديم الَّا انَّ لها ايضًا وزنًا ظاهرًا خاصًّا بها مع التقفية على طرائق معلومة تختلف اختلافًا عظيمًا كما ترى في الشعر المولَّد من الازجال والموشحات والاناشيد الغنائيَّة. فرأينا بنسبة عيد البتول الواقع في ٨ ك ١ ان نجمع من هذه الاقوال نبذًا تدلُّ على جودة قرائح مستنبطيها وهي مع ضعف تأليفها شعريَّة المعاني كثيرة التفنُّن في

التشابيه رقيقة الالفاظ مطبوعة لا يشينهـا التصنُّع والبهرجة الباطلة وسنثبتها بحرفها.

واقدم ما وقع لدينا من هذا الصنف زجليَّات قالها جبرائيل بن القلاعي اسقف قبرس احد مشاهير الطائفة المارونية المتوفَّى سنة ١٥١٦ منها مديح وجدناه في نسختين قديمتين من الزجليَّات المارونيَّة بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة تاريخهمـا سنة ١٦٧٣ وهما مكتوبتان بالكرشوني بيد الشماس ميخائيل بن القسّ عبد الله من قرية بسبعل. والمديح ينيف على ٥٠٠ بيت وهذا اوَّلهُ نرويهِ بحرفهِ الواحد:

تكلَّمتُ في مدح البتولة مريما   بصلواتها انجا من الضيق والظما
لمن حبَّ مريم في المديح يترنَّما   وينصت لقولي والصحيح يتكلَّما
من قد بغض مريم في ذا الوقت انقهر   وفي الاخرى يورث عذاب جهنَّما

ومنها: هي عضدنا في المبدا والمنتها   وهي لنا حصناً رفيع الى السما
تحمي من العارض في الدهر كله   وتخلّص ايضاً من عذاب جهنَّما
لانَّ لها في الارض صيت وكرامة   وايضاً توقرها ملائكة السما
لانَّ اله العرش جلَّت قدرتهُ   أوحى بها في الانبياء وتكلَّما

ومنها: تعطي لنا ثمر الحياة من فروعها   وتثبت بتولة لم تفكّ الخواتما
وتدعى بتولة بعد ميلاد ابنهـا   كذلك لها مجداً وحسن تكرّما
تمام قول اشيا النبي قد تفسر   ومن قبلهِ موسى النبي قد تكلَّما
تظاهر بطور سينا برؤيا ذاهلة بها   علَّيقة فيها نار ولم تتضرَّما
وداود أبوهـا قد دعاها قوَّيَّة   ومدينة ساكن بهـا ربُّ السما
جدعون كأنَّها غمامـة مشرقاً   انوارها بتفي لاولاد آدما
ابواب مغلوقة نظر ودخل بهـا   الاله حزقياً المغبوط عنها تكلَّما
كذلك دانيال في جبـل رفيع   ومن فوقه تحرس ملائكة السما
امَّا سليمان الحكيم يمدحها   دعاها عروس وامثال فيها تكلَّما
يعقوب نظر سلَّم في الارض عرقها   وكان رأسها يختفي في عالي السما
وكانت بها تصعـد الوف ملائكة   وتنزل بهـا للارض وهي تترنَّما
ونوح دخل تلك السفينة خلص بها   من غضب الطوفان وهي مرتميا

ويعدّد القلاعي هكذا كلّ الرموز الواردة عن العذراء مريم ثم ينتقـل الى ذكر اسرار حياتها الى ان قال في بشارة الملاك جبرائيل ليواقيم وحنَّة بولادة ابنتهـا:

والملاك جبرئيل حقَّق كلامهم   وبشَّر ليواقيم فيها وسلَّما
وقد كان يواقيم وحنَّة عاقرة   وكانوا ببيت الله يبكون دائماً
يواقيم قد كان من ناصرة الجليل   وحنة من بيت لحم والجواز اجمعها

وسكنوا باورشليم على بدو اصلهم … من بيت داود النبي المكرَّما
وكان بالعمر من اربعين سنة … وليس يجيهم ثمرة تورثهما
وقد كان يواقيم في الصوم والصلاة … يقـدّم القربان في السبت دائما
تهجَّم عليهِ رايل اخوهُ وقال لهُ … ما لك من قبلي تجي وتتقدّما
وانا أقدم منـك بالعمر زائدًا … ولي زرع بين الشعب ادخل واقدّما
وانت عدمت الزرع وحنة عاقرة … على حسب النامـوس انت محرما
ولا تدخل الهيكل ولا تحضر الصلاة … ولا تأخذ القربان اذا هو تقدما
تنهَّـد يواقيم وسُكبت دموعه … وقال حيّ هو الرب الذي رفع السما
لا اسكن باورشليم ولا اعود الى جوزتي … الى ما يفتقدني الرب في رحمتهـا
واذا رزقني ولد يكون لهُ تقدمة … واخلص من العار الذي قد تقدما
وقام من الهيكل ودمعه يشله … ـسك درب اريحا وفيهـا توهما
وكان لهُ رعيان في النور مع الغنم … وصار مع الرعيان مثل احدهما
وكان يقسم ثمر القطيع مثالثـة … لبيته والمسكين والضيف يكرما
اتنشقت حنة ان قد راح بعلها … بكت وعاد الدمع من عينها دما
قالت واسم الرب انا اثبت في البكا … الى ما ارى بعلي وسنُّه تبسَّما
واذا افتقدني الرب في عظم رحمته … اوَّل ثمر بطني يكون مقـدما
ويخدم في الهيكل من حين فطامه … ويكون الكهنة مطيعًا ومُكرما
وقد تمَّ يواقيم ثلاث سنين … على اليردن يبكي ويطلع الى السما
اتاهُ ملاكِ الله في وجهٍ مبهجا … قراهُ السلام وفي البشارة تكلَّما
وقال لهُ يواقيم صلاتك وصدقتك … قبلها اله العرش في عالي السما
ويعطيك من بطنك ثمرة مباركة … من مخالفة حوًّا ومعصية ادما
وحدَها تُدعى ثمرة مباركة … بين بنـات حوًّا اولاد آدما

ثم يتوارى الملاك فيعود يواقيم الى بيت زوجتهِ حنَّة ويخبرها بما رأى فتعلمهُ هي ايضًا ان الملاك بشرها بمثل بشارته:

قالت لهُ حنَّة يواقيم ابتهج … وصدّق ملاك الله بسرّ تكلَّما
لانهُ بشَّرني بفرحة جزيلة … وقال لي تجي بنت وتدعى مريما
وتفسيرها نورًا يضي كل مظلما … ومن بطنهـا يأتي الخلاص لآدما
وفي طلاقها عذراء وفي حملها بتول … وليس يدنّسها احد من اولاد آدما

. . . .

بهذا بشرني الملاك وارتفع … صدَّق يواقيم والرب عظَّما

ولابن القلاعي غير ذلك من المدائح اقتصرنا على هذه ليرى القارئ طريقتهُ. وفي

طقوس ورتب الكنيسة المارونية اقوال واناشيد أُخرى تقويَّة تدخل في هذا الباب كالسوغيت الذي يُنشد في اوَّل القدَّاس:

صلاتك معنا يا طهر الباذْ ما دام البقا وفي يوم المعاذْ
وفي يوم الوجل يضنينا الاجلْ ارحمينا يا بريّهْ من الزللْ
صلّي عنا ورقّي لحالنا لئلّا تحلّ بسوء فعالنا
تضرّعي لاجلنا لابنك الوحيدْ لكي يرحمنا وننجو من الوعيدْ

وكالباعوث الذي يقال في اعياد السيدة:

نحديك السلام يا ام الله القويّ الجبارْ إلذي اوعب السما والارض عزًّا واقتدار
نحديك السلام يا من اضحت ام الانوارْ قبل كون الشمس وهي بتول فخر الأبكارْ
نحديك السلام يا ام الابن وابنة الاب الرب القديم الذي قد جبل آدم من ترابْ
نحديك السلام يا من ولدت رب الاربابْ الذي صوَّر حوا لآدم ليشكرا الوهَّابْ

سعديكِ مريم يا من صارت ام القدوس الذي قد حبا سلالة لاوي قداسة النفوس
سعديك يا من حلَّ في حشاك بطهرٍ محسوس وحيد الازلي وشعاع الآب الضيا المأنوس

افرحي يا مَن من ثدييك غذوتِ الخالق حليباً كافياً وهو الكافي جميع الخلايق
يا من حملتِ على ذراعيكِ بحبٍ فائق من تريحهُ قوات الملا فوق المشارق

للبتول مريم يعطي الطوبى جميع القبائل لان المولود منها قد محا كلّ الرذائل
ونحن الضعفا لديها نقدم خير الوسائل قائلين اشفعي يا محبة كل راجٍ وسائل

تضرعي الى الذي من نقاوتك كصبحٍ قد اضا ليرحم جمعاً لتكريم ذكرك وافى وارتضى
ويقبل منا بتوسطك قربان الرضى عن انفسنا ما دام البقا وفي يوم القضا

نمجدك يا من اشرق منها وبدد الغيوم بطبيعهِ بدا ومشيئتهِ وحيد الاقنوم
لك ولابيك والروح قدسك شكرٌ محتوم ثلاثة اقانيم الهٌ واحد ليس بمقسوم

وكذلك شاع عند الموارنة نشيد زيَّاح ايقونة البتول الذي اوَّلهُ:

يا ام الله يا حنونة يا كنز الرحمة والمعونة الخ

*

وقد اشتهر بين الملكيين في هذه المدائح والاناشيد العاميَّة ميخائيل بن عبد الله حاتم مرَّ لنا ذكرهُ في المشرق (٥: ٤٦٧ و ٧: ٤٢١) وقد روينا هناك أنَّنا لم نقف على اخبارهِ. لكنَّنا وجدنا تاريخهُ في آخر بعض مدائحهِ فاذا هو قد كتبها سنة ٧١١٣ للعالم

الموافقة لسنة ١٦٠٥ للمسيح • ومدائحهُ مدوَّنة في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة في تاريخ سنة ٧٢١٢ لآدم (١٧٠٤ م) منها قولهُ في مديح البتول نختار منهُ ما يلي:

يا من ضياها باها   شمس العلا اخباها   روحي صبت يا مريم   لك مذ بدت صباها
يا كم عجب لك ذائعٌ   بين البرايا شائعٌ   كم ضلّ مثلي ضائعٌ   لاجي لجهتك جاها
مغبوط من يقصدها   وويل من يجحدها   طوباهُ مستجدها   عند الاياس يراها
هي عزّ من دلَّلها   هي حرز من أمَّلها   هي كنز من بجَّلها   يوم العدم يلقاها
يا طال ما احتني   بين الورى وسمّتني   في مدحها أُغنّني   من فضلها وعطاها
اصبحتُ منها شادي   عنها لها انشادي   من لدنها إرشادي   يا ناس كيف انساها
يا مريم جودي   في كل مكان وجودي   باسمك علينا عودي   حبي باسمك فاها
بالجبع حاضر عندك   ميخائيل حاتم عبدك   رام الضيا من فندك   يا من ضياها باها

ولهُ مديحة في السيدة على وزن « بالله عليك يا ايها الحادي بالاظعان » ذكر فيها السيدة المعروفة بالشاغورة في صيدنايا وقد دعاها الشاعر شاهورة:

بالله عليك يا ايها الساري الى الشام   من مصر التي ارمت بقلبي كلّ سهام
بلّغ صيدنايا ما بدا من فاي بسلام   وارفع قصّتي للطاهرة مريم بإحكام

واقصد حصنها العالي على صم الحجار   واطلب منها يا من سعى مع كل من زار
تقبل دعوتي مع انها تعلم بما صار   مني وابنها بالعدل يخصم كل ظلّام

قلبي والحشا قد ذاب من الم الفراقِ   والاعين ساحت من فيض ماءها كالسواقي
من اجل التي عن شأنها زاد اشتياقي   مريم عزّ ابكار الانام وكل من هام

يا من حبُّها في وسط قلبي والفؤادْ   قربك لي وفا لكن جفاي من البعادْ
عيدي ما مضى من جمعنا قبل المعادْ   في شاهورة وامدح لكِ من حسن إنعام

انتِ فخري والملتجا يا خير مَن جار   انتِ مطلبي والمرتجى يا نور الانوار
وانتِ مكسبي والملتجا يا كنز الاسرار   قلبي ما سلا لو سلا والجفن ما نام

وهي طويلة قال في آخرها:

لكِ مني السلام التام بالعرف الزكيَّة   ما ناح اليمام التام بالدوح الزهيَّة
تاهت فكرتي في مدحك يا مصطفيَّة   واقبلي مني سلام الروح بسلام

نجل عبد الله الحاتي ميخائيل اسمي   ساحي بالله الحاضرين ابناء رسمي
يا سلام الله أُنحي لمريم كلّ قسمي   بالله عليك يا ايها الساري الى الشام

ولهُ مديحة في البتول على وزن « الله الله ربنا » على حروف المعجم:

ا أَلف المدح المعظم قد سما ادرك الارض الامية (؟) والسَّما
ابهج العذرا السبية مريما البتول الطاهرة كل المنى

ب با بديتُ المدح في امّ الحبيب بالتحيَّة والسلام المستطيب
باح سرّي انها امرٌ عجيب بنت عذرا بكر امّ الاهنا

. . . .

و والسلام التام بالعرف الزكي من فقير الله ميخائيلكي

ولهُ في مدحها ايضاً نشاد سلسلة مشتق من دوبيت ضمَّنهُ رموز العذراء قال في اوَّلهِ:

يا خلّ بسميك بيلْ واناقِ غوي وتفهَّم الرموز برشاقِ
عن ذات تمجدا (كذا) وافضل شرفاً عن مريم ستّ العالمين الميثاقِ

وفي آخرها تاريخ تاليفها وهي سنة آدم ٧١١٣ (١٦٠٥ مسيحيَّة)

لم يزال الغرام بحاتم يسى ميخائيل يشهد مدحك دراق (؟)
تاريخ شباط عام ثالث عشر مائة والوف سبع والله الباقِ

*

وقد اشتهر قوم من السريان لاسيَّما الكاثوليك في الاناشيد والزجليَّات والشعر العامي ولكلهم مدائح عديدة في السيدة البتول تنبئ بما طُبعوا عليهِ من التقوى والتعبُّد لسيِّدة الملائكة نخصُّ منهم بالذكر اسقفاً كاثوليكياً يُدعى طيموثاوس سُقف على ماردين في اواسط القرن السابع عشر وكان اسمهُ قبل تسقيفهِ «ضعفي حُميلي كرنوك» واصلهُ من ديار بكر وقد سافر الى ايطالية وطبع هناك كتابين ضمَّنهما اناشيد ومدائح شتَّى بالشعر العامي · اسم احدهما كتاب زهور مناجاة الحبيب ونصائح القريب طُبع في بادوا سنة ١٦٩٠ والاخر دعاه مدائح وتسابيح تقويَّة طُبع فيها ايضاً سنة ١٦٩٣ وكلاهما منقول الى الايطاليَّة · والكتاب الثاني مشحون بالاقوال في العذراء الطاهرة ذكرنا منها نبذة في المشرق (٧ : ٤٢١) ودونك امثلة أُخرى منها كقولهِ فيها بمقام الحجاز:

باسم مريم دائم انتم علينا تنعم بالجود والأخيارْ
يا برج داود يا لؤلؤ يا ياقوت الماست وزمرود منكي يتجوهرْ
يا امّ الافراح برهان وايضاحْ باسمك ارتاح من عذاب النارْ
يا جرة المن عزّي من الحزن خذي من المحن كل من كان منضارْ
يا ام المسيح غاية التفريح سليمان يصيح يا سرّ الاسرارْ
يا باب السما يا كرسي الحكمة يا ام الكلمة مثلكي ما صارْ

يا كتر العطا يا شفا المرضا يا ملجا الخطا ابنكي قد صار
يا ام الخالق والشمس الصادق والنجم الزارق منكي قد ظهر
يا قبة المهد يا نبعة السعد مديحي بصعد فوق طغم الانوار
يا ام الكلمه ستنا مريما منكي تجسما يسوع البار
ضعفي الدنس خاطي هو مفلس انشا الله يخلص من ثقل الاوزار

وهذه مديحة اخرى قالها في مقام الرست:

باسم الطاهرة مريم يحلا لي المديح وليس يوجد اسم اعظم كاسم ابنها المسيح
لهذا كل متكلم يكرز فيها ويصيح دايم شرفها لجيل وجيل هي فريده بلا مثيل
لها الكرامه والتبجيل والشكر والتسبيح منها الكرم والجود ما لها شبيه في الوجود
ولابنها ربنا المعبود يليق الكرامه والسجود ودايم بالدوام في كل الادهار
كيف ما ينجح امري ويرجح رزقي يربح من ما في ترابها احتوى ياخذ كل انسان ما نوى

من الدر الفاخر

(قفل) جبرائيل قد نزل مقبل واقراها السلام
الى العذرا وقال تحبل مدبر الانام
وقالت كيف انا اقبل كلامك يا غلام
كيف يكون هذا الخبر وانا لم اعرف رجل
فسر لي متواضعا بجهر كلامك بالتصحيح
الاب فيكي مسرور وروحه عليكي حضور
والابن منكي في ظهور لينتقد شبه ويزور
ويخلص الانام من يد المكار
انتي هي نور الانوار انتي هي كنز الاسرار
فيكي جميع الابرار وجدوا لداهم دوا
من ابنكي الذي احتوا في بطنكي الطاهر

قفل

لها اسم قوي عالي في الارض والسما وذكر عالي متعالي ذه العذرا مريما
وفيها ينصلح حالي ولو كنت في ظما ادعيها في كل خطر واجد فيها الظفر
واكون بها منتصر على الاعدا واستريح رأى موسى باعلا الطور علّيق وفيه نار ونور
وبار الياس الغيور تنبوا بالظهور عن ست الانام ويوسفها النجار
ام دياني الرحماني فيها الخالي فتعلا حتى كرة الهوا وتقبل متمكنه بالتوا
ذيلها الطاهر

قفل

لابسه بالشمس رداها وتحت رجليها القمر يتلالا كالنور ضياها وهي نجم الفجر

لولاها والله لولاها لكنا في الخطر هي صباحي وهي مصباحي فيها افراحي
تترايد صحيح
هي هي سعدي ونكميل وعدي وغاية قصدي حبي وودي
وفيها قلبي باضطرام وحبها فيهِ كالنار
هي هي ديني مستميني فيها . يقيني تنقَّى وانضوى وقلبي في ودها انكوى
وحبها في الخاطر

القفل الاخير

ضعفي خاطئ متوان ولي هذا المديح وانا من ملة السريان وجا نظمي فصيح
ديني ثابت في الازمان وهو دين صحيح على الصخرة ثبوت وعليهِ انا احيا واموت
وارتقي بهِ للملكوت واحظى بالمسيح مديحي يلِق لايجِّلو بجمال مريم ليجمّلوا
وكالشهد تجده حلو لهذا اعيده واكملو ليحلا . الكلام ككلحن المزار:
في مدحك يابتول اسالك على احسانك وعدلك واقوال العدو اترك
تمضي في الهوا

*

ومن اشتهروا ايضاً بين السريان بهذه الاقوال العاميَّة القس يوحنَّا او حنَّا السرياني افادنا عنهُ الطبيب الذكر البطريرك عبد يشوع خيَّاط قال انهُ كان موصليًا كاثوليكيًا وهو المعروف بابن سُكَّر ويلقَّب بابي هزار عاش في اوائل القرن التاسع عشر ولهُ حفداء احياء في نفس الموصل حتى اليوم ونظم مدائح كثيرة باللغة الدارجة غير مطابقة اللغة المعربة وهي مندرجة في مجموعات من هذا القبيل متداولة بايدي الناس الاتقياء يترنَّمون بها في سهراتهم الإلفيَّة وسائر مجالسهم الطربيَّة واكثرها في السيدة البتول وابنها الرب يسوع . وهي مُطبَّقة على اغاني دنيويَّة . من ذلك قولهُ:

ارحمي عبدًا دعاكِ ومن ذنوبهِ شاكي ملتجئًا في حماكِ ايا زينة النصارى
قفل
فيك حبلُ اتصالي انصتي الى اقوالي لا تردّي سؤالي ايا فخر العذارى
قفل
انت هي باب الجنَّة منك اطلب واتمنَّى ناظم مدحك يوحنا حقيرًا في النصارى

وقال ايضًا فيها مديحةً اوَّلها:

سلام سلام سلام سلام على البكر مريم ومجد الانام

ايا لساني قول المديح وامدح الحنونة ام المسيح
في مدح مريم قلبي قريح يامن يسمع اعطيها السلام

اسمها ذائع في الانام افرنج وعرب هند واعجام
بنداد وبصره حلب والشام وجميع الاماكن بجدوك السلام

ولهُ ابتهال للعذراء اصولهُ ١٦ ونصفهُ ٢٤ صبا:

في البتول ام المعظم اه اه اه ان ذا المدح يطيب
هي السنية مرغريم 〃 من قصدها ما يخيب

حبك ياذا النقا 〃 زاد في قلبي لهيب
مريم ام التقى 〃 يا بتول ام الحبيب

زال عمري وايش بقا 〃 حار في دائي الطبيب
فداويني من الشقا 〃 لاتوب واندم قريب

ولهُ ايضاً مديحة في مقام نيروز اولها:

قصدت البتول من قبل ما تدنو منيتي اسأل ابنها ينفر ذنوبي وزلتي
في يوم اقف عريان ليقضي قضيتي
تشفع لي ام النور وابقى بالفرح مسرور
حتى اصعد لفوق الطور حين يقول المسيح الحي جوزوا لجنتي
انا هو الراعي الصالح وانتم رعيتي
ياام النور جيرنا واخزي من يوذينا يا متشفعة فينا عذرى نتصدك لا تخيبنا

وكان للقس يوحنا المذكور ابن اخ يُدعى يوسف سكَّر اشتهر كعمهِ بالاناشيد الروحيَّة

*

قال غبطة السيّد عبد يشوع: ومن اصحاب هذه الانظام الراهب يسوع وهو مجهول النسب عاش في الموصل في القرن الثامن عشر وكان سريانيًا ويظهر من قولهِ انهُ كان يزيديًا من جبل سنجار في الموصل وتنصَّر. ومن مدائحهِ في العذراء قولهُ:

في الشدائد انا امدحك مريم بتولي
وارجو منك غفران ذنبي عذرا حنوني
(قفل) بالهيكل كنت تسكنين مريم بتولي
خطبك يوسف الامين عذرا حنوني
(قفل) ارجو منكم يا اخوتي بجاه البتولي
اذا قمتم في الصلاة اذكروني اذكروني

ومن نظمهِ فيها:

طوباك عذرا مريم ام يسوع العالي
اشفعي لي عند ابنك يغفر اوزاري
(قفل) لست اقدر ان امدحك يا سما الثاني
ارتقيتي في المراتب وشأنك عالي

وفي آخرها بيَّن اصلهُ:

من جبل سنجار اتيت وصرت نصراني
اشكر انام ربي يسوع على ما اعطاني

وقد وجدنا لهُ في مجموع قديم في خزانة مكتبتنا مديحة في وزن « يا دان يا دان » اوَّلها:

اريد امدح العذرا ست البنات والنسوان
ولدت لرب القدره واشهدوها الرعوان
والكوكب كانه زهره واهدى القوم الفرسان

وفيها يقول: بيد حوا خرجنا من جنَّة الفردوس
وبها قد رُشقنا مثل سهام القوس
وبمريم قمنا كلنا من اكراب الدوس
بالاثم خسرنا النور ومريم ردتنا للبيت
الحيَّة فتحت القبور وبمريم قد تباهيت

*

ومن اصحاب هذه الاناشيد المريميَّة القسيس عيسى الموصليّ ويُدعى عيسى الهزار كان كاثوليكيًا ولا يُعلم أكان من طائفة الكلدان ام من السريان. والمرجَّح انهُ عاش في اواخر القرن الثامن عشر ويُحكى عنهُ انهُ في ليلة تغنَّى على السطوح باغانيهِ الروحيَّة فحنق عليهِ بعض اعدائهِ فارادوا لهُ سوءًا فهرب مختفيًا وكان ذلك آخر العهد بهِ ولعلهُ ذهب الى القدس وهناك قضى عمرهُ. وقد وجدنا من نظمهِ في احد مجاميع مكتبتنا مديحة للعذراء الطاهرة في مقام الرهاوي اوَّلها:

يا سيدة النصارى يا مصباح الظلام يا قبة الاشارة يامركب السلام
قوموا يا نصارى تنمدح البتول في ست العذارى حارت العقول

*

وقد عُرف بين الكلدان في هذا الصنف من التآليف القس خدر الكلداني الموصلي

الذي فاقت شهرتهُ في الموصل على بني عصره وكان من خورنة مار يشوعياب وكان ابوه يدعى الشمّاس الياس لم يزل نسلهُ في الموصل حتى اليوم · وعاش في اوائل القرن الثامن عشر وكان نسطوريًا فجحد بدعتهُ واقتبل الايمان الكاثوليكي وعلّم الصبيان مدّة طويلة في الموصل وفيها ألّف الالحان المنسوبة اليه المستعملة لدى الكلدان والسريان بالعربيّة في نواحي العراق والجزيرة · وقد ترجم ايضًا من الكلدانيّة الى العربيّة اناشيد ومداريش تستعمل حتّى اليوم عند السريان والكلدان · ولهُ ايضًا خطب وتعزيات تقرأ على الموتى على نسق خطب مار ايليا المعروف بابي الحليم واخباره مع تفصيل تآليفهِ قد مرّت في المشرق (٤ : ٨٥٢) وكانت وفاتهُ سنة ١٧٥٥ · ومن اناشيده مديحة للام الحزينة على كل حروف الاشعار [illegible] التي ينشدها اهل زماننا · هذا اوّلها :

ا· يا مريم   قد صار حزنك سورًا حصينا
بجاه آلامه   ياحنونة ارحمينا   (الردّ)

بالصلاة ابنك عرق   دمًا وبه نجينا (بجاه الخ)
جنود الاعداء ضبطوه   مكتوفًا بينا

ولهُ اخرى طويلة يقول فيها :

اشفعي في عبدك   مريم وارحمينا   (ردّ)
يا ام الرحمان   ورجمة بارينا

يا بتول مقدسة   ومقدس قادينا   (اشفعي الخ)
يا وردية زكية   بطيب نشرك حيينا
يا زين الافاضل   وافضل ما عطينا   (اشفعي الخ)

ومن مدائحه ايضًا قولهُ فيها :

اريد امدح بافراحي   مريم نجم الصباح
هي رشدي هي مصباحي   نورها شارق ضاحي

وقال في آخرها :

اسمي الحقير الثاني   خدر اصلي كلداني
فيك ثابت تكلاني   اشفي جرحي الروحاني

*

وقد اشتهر ايضًا بين الكلدان الناظم الشمّاس الياس بن المقدسي يوسف بن يونان

الطويل الكلداني الموصلي سيم قسيساً على البصرة وبها توفي قبل عشرين سنة . فمن نظمهِ في البتول:

يا عذرا نور الناسا حلوه ومكلّله براسها
جبرائيل لِيَحْضى قدّم البشرى بشرها بفادي الناسا

ولدت كوكبًا صبح ودعي اسمهُ المسيح
الملائكة باصوات التسبيح اليوم ولد فادي الناسا

ملوك الفرس جاؤوا سائلين ليت لهم وهم قائلين
قد ولد اليوم المبين جئنا نحني لهُ الراسا

وآخرها: ناظمها قاصد التوبه خمسه حروف إسمهُ مكتوبه (الياس)
راجي العفو ها التوبه ذنوبه قد علت راسه

*

وقد وجدنا ايضاً لبعض الارمن الكاثوليك مدائح كهذه قالوها باللغة الدارجة اسم احدهم يوسف الصائغ الحلبي قال هذا الابتهال في العذراء اصولهُ صوفيان وجدناه في مجموع مخطوط كُتب منذ نحو مئة سنة بنيف:

(دور) يا ام الهادي . يا مريما انت اعتمادي . صدقاً حقيق
(لازمة) لا تسأل ما بي . عن وصفها لها الملائك . تهدي السلام
(دور) انا ندعوك . وقت الصباح ايضاً نرجوك . لنا الصلاح
〃 لك نصلّي . وقت الضحى لا تتخلّي . عن طُرّحا
〃 لها تتضرع . وقت الظهور فينا تتشفع . عند النفور
〃 لك نترجى . وقت الغروب كوني لي ملجا . لاندم واتوب
〃 انا نقصدك . وقت العشا ربي انتخبك . من الحشا
〃 فيك نترنم . وقت السلام يا ام المعظم . خير الانام

وقد ختم مديحًا اخر بذكر اسمهِ:

انا الارمني فيها مغتني مدى الايام
ويوسف سميت , صائغ كنيت من بيت كرام
مولودي حلب جدي منتسب قس منتخب
حزت الادب والاحتشام
وانا المستجير برب قدير يجبني المرام

وقال آخر من طائفتهِ اصوله اقصق سماعى :

البكر مريم حلوه الشيم تنظر ذلي بالشقا ترحم حالي
من لها كرم ربنا الاعظم وارتقاها سابه فوق الموالي
تقي امدحي ملّي دائم مَن بها شفا عِلّي قائم
لرب العلى في توسلي انت الشفيعه لا يطردك سؤالي

ولها عدَّة ادوار اكتفينا منها بهذا. وقد وجدنا لغير هؤلاء مدائح اخرى عديدة لو جُمعت لأنافت على مجلَّد ضخم واكثرها لم يُعرف قائلوها وانَّما المجاميع التي لدينا تدلُّ على انهم عاشوا قبل مئة سنة بنيِّف . وبعض هذه الاناشيد قد خُتمت باسماء اصحابها دون افادة أخرى عن احوالهم . منهم الاديب دراود السرياني والشمَّاس عازر وعبد يشوع وزكَريا الكلداني وعبد المسيح عطَّار بن القسّ يوسف الكلداني ونظنُّهُ هو الذي صار اسقفًا على ماردين باسم طيموثاوس عطَّار. ولكلّ هؤلاء كما وللذين سبق ذكرهم اقوال ... في مواضيع شتَّى لم يحصروها في السيدة العذراء بل في كل المواضيع الدينيَّة حتى انهم كادوا ينظمون كل اقوال الانجيل الطاهر وما ورد فيه من الامثال فضلًا عن جميع اسرار حياة المسيح . وفي درس اناشيدهم فوائد تاريخيَّة وادبيَّة ودينية لعلَّنا نعود اليها اذا سنحت الفرصة . وفي ما جمعنا كفاية لبيان تقوى هؤلاء الناظمين وخلوص ايمانهم وسذاجة اخلاقهم وتعبدهم الصادق لأطهر العذراى وسيدة الخلائق

الابرشيات المارونيَّة وسلسلة اساقفتها

بقلم جناب الاديب الشيخ سليم خطار الدحداح (تابع)

٤ ابرشية بيروت (*

ذكر البطريرك الدويهي في تاريخهِ اسقفًا واحدًا قبل عهده واسقفين في مدَّة بطريركيتهِ تولَّوا ادارة ابرشية بيروت وهم:

(الاول) الاسقف يوسف. ذكر المؤرخ المشار اليهِ (ص١٧٥) ان البطريرك مخايل الرزي سام الاسقف يوسف في سنة ١٥٧٧ مطرانًا على بيروت فهذه الافادة مقتصرة لا

* راجعنا لكتابة هذه المقالات تاريخ الطائفة المارونية مع سلسلة بطاركتها للدويهي والنبذة في المقاطعة الكسروانية وبرنامج اخويَّة القديس مارون (حيث تجد رسوم هؤلاء الاساقفة وتفاصيل اعمالهم) وبعض معلوماتنا الخاصَّة

تفيدنا شيئاً عن نسب واعمال هذا المطران ولا عن تاريخ وفاته . وقد جاء في رسالة للمطران يوسف اسطفان سنذكرها في ترجمته اسماء بعض اساقفة الموارنة على بيروت وهم : « الحصروني والشامي وبولس الهدناني ويعقوب عوّاد وحنّا » . ولم يزد ايضاحاً ولعل « الحصروني » المذكور هو يوسف هذا الذي ذكره الدويهي . امّا بولس الهدناني ويعقوب عوّاد فلم نجد لهما ذكرًا . وكذلك المطران حنّا الّا ان يكون يوحنّا اسطفان

(الثاني) يوسف الشامي . قال الدويهي (ص ٢٥٢) « وفي ٢٧ كانون الثاني من السنة المذكورة (١٦٩١) رسمنا يوسف الشامي مطراناً على بيروت » . وكانت وفاتهُ في اواخر سنة ١٧١٥ . والذي نعلمهُ عن هذا الاسقف انهُ أُقيم من قبل الاساقفة وكيلاً للبطريركية المارونية مدّة فراغ الكرسي بعد ابتعاد البطريرك يعقوب عوّاد وتحت رئاسته تمّ الجمع الذي انتخب يوسف مبارك بطريركاً ولم يُصادق الحبر الاعظم على كل هذه الاعمال كما سبقت الاشارة لذلك في سلسلة بعلبك وسلسلة دمشق

(الثالث) جرجس خيرالله اسطفان موسى ديرعين ورقة ولد في غوسطا من اعمال كسروان نحو سنة ١٦٢٨ صار راهباً سنة ١٦٥٣ وسامهُ البطريرك اسطفان الدويهي اسقفاً على بيروت سنة ١٦٩٨ مع وجود المطران يوسف الشامي في قيد الحياة . ومات سنة ١٧٣٣ في ٩ كانون الثاني وكان زاهداً تقيّاً فاضلاً ومن بعده ترى اسماء الاساقفة المتأخرين عن زمان الدويهي وهم :

(الرابع) عبدالله قرألي . هو عبدالله بن مخايل قرألي من حلب ولد فيها في ٨ ايلول سنة ١٦٧٢ واتى لبنان مع رفيقيهِ جبرايل حوّا ويوسف البتن قصد انشاء رهبنة في سنة ١٦٩٣ . ثم لبس الاسكيم الرهباني وسيم شمّاساً في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٥ وفي ١٤ ايلول سنة ١٦٩٦ سيم كاهناً بوضع يد جرجس عين مطران اهدن . واخيرًا انتخب في الجمع العام الاول رئيساً عامًا على الرهبانية الجديدة وذلك في ١٤ اذار سنة ١٧٠٠ وتجدّدت لهُ الرئاسة العامة خمس مرات اي انهُ بقي رئيساً عاماً مدة تنيف عن ١٦ سنة وسبعة اشهر اهتم فيها احسن اهتمام لتشييد الرهبانية وتثبيت قدمها وتعزيزها ورفع شأنها وقد اسهب في شرح امورها في الكرّاسة التي وضعها مبيّناً فيها بالتفصيل ترجمة حياته واعمال الرهبنة . وقد عثرتُ على نسخة خطّية منها خاصة مدرسة رهبانيتنا الحلبية في رومية اطلعني عليها الاستاذ العالم رشيد افندي الشرتوني فترى فيها روح البساطة

والسذاجة الفطرية ظاهرين بكل احرفها . وفي ١٧ ايلول سنة ١٧١٦ سامهُ البطريرك يعقوب عوّاد اسقفًا على ابرشية بيروت مع وجود جرجس اسطفان في قيد الحياة . وقد شهد المجمع اللبناني ووقعهُ هكذا « عبدالله مطران بيروت » وكان من اكبر انصار السمعاني على اتمام اعماله . وتوفي في زوقِ مصبح في السادس من كانون الثاني سنة ١٧٤٦ ودُفن في دير السيدة المعروف باللويزة حيث يُنظر مدفنهُ حتى الآن وهو بنوعٍ خاصٍ مؤسس الرهبانية الحلبية المارونية اللبنانية . ومن تركتهِ العلميَّة كتاب المصباح اللبناني في شرح القانون الرهباني . وقانون دير راهبات حراش . وكيفية ابتداء الرهبانية . وكتاب الافراميات وغيرها . وقد خلفهُ في الرئاسة العامة جبرائيل فرحات الوارد ذكره في سلسلة اساقفة حلب . واما على الابرشية فقد خلفهُ :

(الخامس) يوحنَّا اسطفان . وهو يوحنَّا بن سليمان شقيق المطران جرجس بن خيرالله اسطفان ولد في غوسطا سنة ١٦٧٩ وصار كاهنًا في دير عين ورقة عند عمهِ ثم سامهُ البطريرك يعقوب عوّاد في تشرين الثاني سنة ١٧٣٢ اسقفًا شرفيًا على اللاذقية وعيَّنهُ معاونًا لعمهِ في الدير وحضر المجمع اللبناني ووقع اعمالهُ بهذه الصفة . ولمَّا توفي عمهُ خلفهُ في رئاسة الدير . وفي سنة ١٧٤٣ عيَّنهُ البطريرك سمعان عوّاد اسقفًا على بيروت . وفي سنة ١٧٥٤ استقال من رعاية الابرشية ونال من البطريرك سمعان عواد المشار اليه سيامة ابن اخيه الآتي ذكره اسقفًا خلفًا لهُ على هذه الابرشية . واقتصر بعد ذلك على تدبير شؤون دير عين ورقة وظلَّ يضيف على اسمهِ لقب اسقف بيروت حتى وفاتهِ التي كانت في ٢٨ نيسان سنة ١٧٧٩

(السادس) يوسف اسطفان هو يوسف ابن الخوري جرجس شقيق المطران يوحنا ولد في غوسطا ونشأ في حجر والديهِ الفاضلين . ولمَّا لمح عمّهُ المطران يوحنا فيهِ علائم النجابة والذكاء ارسلهُ الى مدرسة الطائفة في رومية حيث نبغ في معارفهِ وعلومهِ ثم عاد من رومية فسامهُ عمهُ كاهنًا ثم تنازل لهُ عن ابرشية بيروت والتمس من البطريرك سمعان عواد سيامتهُ مطرانًا بدلًا منهُ عليها فسامهُ هذا الاخير في سنة ١٧٥٤ ولبث مطرانًا للابرشية كلّها حتى سنة ١٧٦٢ بدون منازع . وفي هذه السنة سام البطريرك طوبيا الخازن الكاهن مخايل فاضل الاول مطرانًا على بيروت وكان المطران يوحنا في قيد الحياة وهكذا وجد ثلاثة اساقفة في وقت واحد يوقّعون كتاباتهم باسم بيروت .

وقد كتب المطران يوسف اسطفان رسالة دعاها « احتجاج المطران يوسف اسطفان على رسائل المطران مخايل فاضل » بيَّن فيها حقيَّة سيامته اسقفاً في سنّ الخامسة والعشرين لا في الثالثة والعشرين كما زعم المطران مخايل (فتكون سنة ولادتهُ على قوله سنة ١٧٢٩ وليس ١٧٣١ حسب قول مناظره) وذكر فيها بعض اساقفة بيروت وهم « الحصروني والشامي وبولس المدناني ويعقوب عواد والمطران حنا » فمن قوله يتّضح امران : الاول انهُ أُقيم على بيروت اساقفة غير الذين ذكرناهم وربَّما لم يكونوا بطريقة ثابتة . الثاني انهُ قبل المجمع اللبناني كان الاساقفة وحدهم ينتخبون الاسقف

وفي ٩ حزيران ١٧٦٦ أُنتخب المطران يوسف اسطفان بطريركاً خلفاً لطوبيا الخازن فقضى سبعة وعشرين عاماً في البطريركية وتوفي في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣ في مار يوسف الحصن في غوسطا وقد ألف تآليفات عديدة للمدافعة عن ارثودكسية طائفتنا . وهو الذي فصل عيد القديس يوحنا مارون عن عيد القديس مارون وجعلهُ مستقلاً وعيَّن لهُ تاريخ ٢ اذار وكان عالماً غيوراً مقداماً لكنهُ خُدع بتقاوة الراهبة هندية فاخذ يدافع عنها حتى اضطرَّ الكرسي الروماني ان يفصلهُ عن كرسيه ويُبعده الى دير الكرمل فاطاع بتمام الخضوع كما هي عادة طائفتنا الحسنة التي عُرفت دائماً بانقيادها التام للكرسي الرسولي المقدَّس وهو الذي اقام المطران مخايل (حرب) الخازن نائباً بطريركياً رسولياً عاماً مدَّة ذلك الابتعاد . . ثم ثبتت لدى الحبر الروماني برارة البطريرك فعاد برضاه الى كرسيه . وقبل وفاته كان قد عمد على تحويل دير عين ورقة الى مدرسة بطريركية لاجل تهذيب وتثقيف الاكليروس

(السابع) مخايل فاضل الاول . هو من سلالة عاقورية الاصل ولد في بيروت نحو سنة ١٧١٠ . تعلّم في مدرسة رومية واشتهر بعلمه ومعارفه . قضى مدَّة طويلة كاهناً يخدم رعيَّة بيروت . وفي سنة ١٧٦٢ سامهُ البطريرك طوبيا الخازن مطراناً على بيروت فوقع بينهُ وبين المطران يوسف اسطفان الخلاف المار ذكره . وظهر انهُ نال مرغوبهُ فيما يتعلَّق بنفس ثغر بيروت وهو الذي شيَّد كنيسة مار جرجس القديمة بمساعدة ابناء الطائفة وخاصَّة المرحوم الشيخ منصور اده الاول مدبر المير منصور شهاب . ولما صار يوسف اسطفان بطريركاً سام كخلف لهُ ابن قريته غوسطا اثناسيوس الشنيعي مطراناً بدلاً منهُ فاستأنف مخايل فاضل الجدال معهُ فقرَّر المجمع الاسقفي الملتئم في غوسطا ١٧٦٨ بجلسة

٢٢ ايلول ان يقسم تدبير الابرشية بين المطران اثناسيوس ومخايل فاضل مدَّة حياتهما فقط وهكذا انتهى الجدال . وقد ارتقى مخايل فاضل في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ الى الكرسي البطريركي خلفاً لمناظره القديم وتوفي في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥ قبل ان يتثبت لكن البابا بيوس السادس شاء ان يُحصى في عداد البطاركة

(الثامن) اثناسيوس الشنيعي من غوسطا سامهُ البطريرك يوسف اسطفان على بيروت سنة ١٧٦٧ ومما سبق تعلم ما جرى لهُ وقد توفي قبل مخايل فاضل الاول

(التاسع) مخايل فاضل الثاني . هو انطون بن يوسف شقيق البطريرك ولد في بيروت سنة ١٧٤٤ ودرس في مدرستها الابتدائية وعلى عمهِ الذي سامهُ كاهناً سنة ١٧٦٩ فلبث يعاون عمهُ حتى ارتقى هذا الاخير الى المنصب البطريركي فسامهُ اسقفاً على بيروت وهو اول اسقف قام وحده عليها كل حياتهِ وبدون وجود غيره حاملاً لقبها وذلك في سنة ١٧٩٤ وقد استمرَّ ٢٥ سنة عليها لكنهُ ابتعد عنهـا مدَّةً وأُقيم وكيلاً عليهـا المطران ارميا نجيم . ثم عاد الى ابرشيته وبقي يديرها حتَّى وفاتهِ في ٦ شباط ١٨٩١ في دير حراش حيث كانت اقامتهُ على مثال عمهِ السابق الذكر

(العاشر) بطرس كرم . هو موسى بن ايليا كرم من بسكنتا ومرجع عائلتهِ الى المدعو كرم الذي قدم اليها من لحفد . ولد في بسكنتا سنة ١٧٨٤ وتدرَّج اولاً في مدرسة الرهبان فيها ثم ارسلهُ المطران اسطفان الحازن الاول سنة ١٧٩٧ الى مدرسة عين ورقة وكان في عداد اول صف تخرَّج فيها . وفي ١١ كانون الثاني سنة ١٨١١ سامهُ كاهناً البطريرك يوحنا الحلو اذ كان اسقفاً . وقد تجرَّد لدرس الفقه وتعيَّن هو والخوري يوحنا الناصري معاونين في القضاء للمطران يوسف اسطفان المشهور ابن شقيق البطريرك الذي مرَّ ذكره في هذه السلسلة وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٨١٩ سامهُ البطريرك يوحنا الحلو مطراناً على ابرشية بيروت ودعاه باسم بطرس فادار شؤونها ٢٤ سنة وشهرين وتوفي في ١٥ كانون الثاني ١٨٤٤ في بسكنتا غير متجاوز الستين من عمره . ومن تآليفهِ رسالة نشرها مطبوعة في رومية سنة ١٨٣٠ ردًّا على رسالة القس يونس كين الاميركي البروتستاني وجُدِّد طبعها في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

(الحادي عشر) طوبيا عون . هو شبيب بن عبود عون من معلَّقة الدامور احدى قرى ناحية الشحَّار من قضاء الشوف . وُلد في اوائل كانون الاول ١٨٠٣ ودرس

مبادئ العربيَّة في قريته . ثم دخل الرهبانية اللبنانية البلدية في الخامسة عشرة من سنه واتخذ اسم طوبيا لما نذر النذور العلنية في نيسان ١٨٢٠ وفي غاية ايلول سنة ١٨٢٣ سيم قساً وتعيَّن كاتباً في الديوان البطريركي . وفي ١٩ اذار ١٨٤١ سامهُ البطريرك يوسف حبيش اسقفاً شرفياً على عكَّا . ولمَّا توفّي المطران بطرس كرم عيَّنهُ البطريرك مطراناً على بيروت وفقاً لانتخاب الاكثريَّة وحلَّهُ من رباط كنيسة عكَّا لكنهُ توفّي البطريرك قبل التمكُّن من تسليمه زمام الابرشية بالنظر لمعارضة البعض ولم يتيسر للمطران طوبيا من ادارة شؤون هذه الابرشية الّا في ١٠ حزيران سنة ١٨٤٧ وبقي فيها الى يوم وفاته في بيروت في ٤ نيسان ١٨٧١ في سبّة الآلام . وقد اشتهر بالمساعي الطيّبة التي خلَّدت لهُ الذكر الحسن مدى الدهر وقد عُرف باقدامه وحزمه وعزمه وشهامته وشرف مبادئه وعزّة نفسه وغيرته الفائقة الحد على ابناء ابرشيته خصوصاً وكل من قصده عموماً من جميع الطوائف وعلى ذلك نوادر عديدة يوردها حتى اليوم الخاص والعام وقد كان حاصلاً على مقام واعتبار خاص لا مثيل لهُ لدى الولاة ورجال الدولة العلية العظام في بيروت ولبنان والاستانة حيث ذهب مرتين ونال شرف المثول لدى جلالة ملجأ السلطنة السنية العظمى . ومن اعماله في الابرشية : اصلاح كنيسة مار جرجس القديمة وبناء كرسي عين سعاده مع تأسيس مدرسة اكليريكية فيها واقتنى ارزاقاً كبيرة في شملان قصد بناء مدرسة كبيرة فيها مع نقل كرسيه اليها الّا انهُ لم يتمكّن من انجاز المشروع . وقد شيَّد الدار الاسقفيَّة المعروفة بالقلّاية وهي على حالها لحد الآن في مركزها قرب الكنيسة الجديدة . وقد أسس ثروة كرسي بيروت بمشترى الارزاق الوافرة العدد والاوقاف التي استحصلها خاصَّةً من الاعيان في لبنان وبذلك جعل مركزاً اوّليًا لابرشية بيروت . وقد كان اهتمَّ في سنيه الاخيرة بنقل كنيسة مار جرجس ونال فرماناً بذلك لكنهُ لم يسمح لهُ العمر من مباشرة العمل بالبناء . وكان حاز من دولتنا العليَّة الوسام المجيدي الثالث ثم الثاني العالي الشان واوسمة من البابا بيوس التاسع ونابوليون الثالث . وقد نقلت جثتهُ بمشهد مشهود الى عين سعاده حيث دُفنت في مدفن الاساقفة

(الثاني عشر) الاسقف الحالي سيادة العلّامة المطران يوسف الدبس . هو يوسف بن الياس الدبس يرتقي اصلهُ الى عائلة الدبس المعروفة في غزير كسروان . اقترح

جده ‹ منها فنزل راس كيفا من اعمال جبّة بشري حيث وُلد سيادتهُ في ٨ تشرين الاول سنة ١٨٣٣ ونشأ في قرية كفرزينا من الزاوية حيث استوطن والده ودرس العلوم في مدرسة عين ورقة البطريركية فسيم كاهناً في ١٥ حزيران ١٨٥٥ وتولّى التدريس مدةً في مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي ‹ ثم تعيَّن كاتباً في الديوان البطريركي الجليل حيث لبث الى ١١ شباط ١٨٧٢ وهو اليوم الذي سامهُ فيه البطريرك بولس مسعد اسقفاً وعيَّنهُ مطراناً على ابرشية بيروت التي يدير شؤونها منذ نحو ثلاث وثلاثين سنة ‹ ورغماً عن تقدّمه في السن وشدَّة المرض الذي انهك جسمهُ والاشغال العقليَّة التي تستنفد القوى لم يزل ممتلئاً نشاطاً واقداماً ‹ وسيادته الان اكبر اساقفة الموارنة سنّاً واقدمهم سيامةً

اعماله: هي معروفة لدى الجميع وقد تدوَّنت في الكتاب الذي وضعهُ اللجنة التي تعيَّنت للقيام بادارة عيد اليوبيل الاسقفي الفضي المقام اكراماً لهُ في ١٩ اذار ١٨٩٧ بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على سيامته اسقفاً ونجتزئ هنا على اهمها: بناء كنيسة مار مارون — تشييد كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية الجديدة قرب القلّاية وهي اكبر كنائس بيروت — وتشييد كنيسة القديس مخايل في قرب الكرنتينة وكنيسة القديس الياس في راس بيروت (وقد قرب انجازها) بدلًا من الكنيستين القديمتين الصغيرتين اللتين كانتا في هذين المحلّين — بناء مقبرتين جديدتين الاولى في قرب مار مخايل والثانية على طريق الشام — تشييد مدرسة الحكمة الزاهرة التي فتحت ابوابها للطلبة في تشرين سنة ١٨٧٥ وقد نقل اليها طلبة عين سعادة الاكليريكيين

واما تآليفهُ فاهمها: سِفر الاخبار في سفر الاحبار وضعهُ سنة ١٨٦٧ في سفر البطريرك بولس مسعد الى اوربة ‹ ثم روح الردود جواباً على الخوري يوسف داود سنة ١٨٧٠ ودفاعاً عن ارثوذكسية الموارنة الدائمة — ثمَّ كتب مواعظ وتعريب كتب لاهوتية وفلسفية ودينية واخيراً تاريخهُ الشهير

وهو حائز من انعامات الدولة العليَّة على المجيدي الاول والعثماني الثاني ومن دولة فرنسة على وسام جوقة الشرف ‹ وقد سافر الى اوربة بعد صيرورته اسقفاً سنة ١٨٧٥ لاجل مشروع المدرسة فتشرَّف بمقابلة الحبر الاعظم عام ١٨٨٦ و١٨٨٧ ‹ وسافر الى رومية عام ١٨٩٣ بعد ان حضر المجمع القرباني في القدس متعنا الله زمناً مديداً برعايته

لمحة اقتصاديَّة

في مجاري المياه اللبنانيَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

(نهر الكلب) انَّ مياه هذا النهر تؤدي خدمًا عديدة كسقي المزدرعات وتدوير الطواحين . الآن فائدتها العظمى ريّ بيروت وترويد اهلها بالمياه الطيّبة بفضل شركة المياه المعروفة التي ذكرناها غير مرَّة في مطاوي ابحاثنا السابقة . ومياه نهر الكلب تُخزَن ليس بعيدًا من منبعها فتجري في قناة مكشوفة فتتبع تعريج الوادي وتوربهُ حتَّى تقرب الى نحو عشر دقائق من مصبّ النهر في البحر فتنفذ في القلّة التي يعلوها دير مار يوسف البرج وتجري المياه في سرب يؤدي بها الى الضبيَّة . وقد جعلت من مسافة الى اخرى كُوًى نُقرت في عطف الجبل لرحض القناة اذا دعت اليه الحاجة ومن الضبيَّة ترى القناة مكشوفة حتى تبلغ اخيرًا معمل الشركة حيث ادواتها الدافعة ومصافيها قريبًا من محطَّة الضبيَّة وفي المعمل رقّاس مائي يدفع الماء في القساطل التي تجلبهُ بيروت . واذا قلَّت المياه في فصل الصيف اتَّخذوا آلة بخاريَّة جهَّزوها منذ بضع سنوات لوقت الحاجة . ولهذه المياه احواض عديدة في تلّ مار متري تتجمَّع قبل ان تُقسم على احياء المدينة . وامتياز هذه الشركة كانت الدولة العليَّة منحتهُ للمهندس الفرنسوي المسيو تفنين الذي نال ايضًا من تعطُّفاتها امتياز ابنية المرفإ سنة ١٨٨٢ ثمَّ تشكَّلت شركة المياه كما هي اليوم سنة ١٨٧٦ وانجزت بعد مدَّة الاعمال التي بُوشر بها قبل ذلك العهد بسنة وعُرفت مذ ذاك بشركة مياه بيروت (Beyrout Waterworks Company limited) ولمَّا انتهى حديثًا زمن الامتياز الممنوح لهذه الشركة جدَّدتهُ على شروط اشترطتها عليها الحكومة السنيَّة منها ان تخفض اجورها وان تمنح مجانًا كل يوم ٢٥٠ مترًا مكعَّبًا من الماء وان تنقص قسط البلديَّة الى ١٥٠٠٠ فرنك واذا استهلكت ديونها مع دفع الفائدة يكون ثلث الارباح لبلديَّة بيروت

هذا وان الاطّلاع على احوال هذه الشركة لامرٌ صعب جدًّا فلا يمكنّنا ان نعلم عن مدخولاتها ومصاريفها الّا شيئًا قليلًا استفدناه من تقرير بعض الانكليز . من ذلك

انَّ الشركة كانت ربحت في سنة ١٨٨٤ ١٤٣٢٨٧ فرنكاً وان عدد المشتركين كان ١٥٦٣ وليس لدينا تفاصيل لما قبل هذه السنة . ودونك جدولاً اخذناه ايضاً من مصادر انكليزيَّة يبيّن اجمالياً حالة اعمال الشركة من السنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٦

السنة	المدخول	المصروف	الربح الخالص	الاشتراكات	اشتراكات السقي
١٨٩٠	٢٠٢,٦٩٥ ف	٠٧٨,٦٧٨ ف	٢٢٤,٠١٧ ف	١٩٨٣	١٣٧
١٨٩١	٢١٢,٤١١ 〃	٠٨١,٧٥١ 〃	٢٣٠,٦٦٠ 〃	٢١٢٠	١٢٥
١٨٩٢	٢١٤,٨٦١ 〃	٠٨٧,٨٠٤ 〃	٢٢٧,٠٥٧ 〃	٢١٤٦	١٤٢
١٨٩٣	٢٢٢,١٦١ 〃	٠٩٦,٥٢٤ 〃	٢٢٥,٦٣٦ 〃	٢٢٢٢	١٤٢
١٨٩٤	٢٤٢,٠٦٢ 〃	٠٩٦,٢٩٣ 〃	٢٤٣,٨٦٩ 〃	٢٤٨٠	١٥٠
١٨٩٥	٢٥٢,٢٤٧ 〃	١٢١,٥٦٤ 〃	٢٣٠,٨٨٢ 〃	٢٨١١	١٣٧
١٨٩٦	٢٥٠,٢٨٠ 〃	١٢٠,٩٦٠ 〃	٢٢٩,٣٢٠ 〃	٢٨٩٦	١٥١

وللشركة رأس مال قدره ١٤٤٠٠٠ ليرة انكليزيَّة ويظهر من ترقّي اعمالها وزيادة عدد مشتركيها واسراعها في تجديد الامتياز الممنوح لها انَّ امورها على قدم من النجاح هذا فضلاً عن ارتفاع اسعار الاقساط . على انَّ الشركة قد تحمَّلت نفقات كثيرة في جلب المياه خصوصاً لاجرة العملة التي حُسبت في اليوم كما تُحسب للعامل في لندن (٦ شلينات) واتعب السرب في تلّ دير مار يوسف البرج الذي بلغ الاربعين في المئة من مجموع النفقات . وزد على ذلك ما صرفتهُ في عدَّة دعاوي

والشركة تستطيع ان تسلّم في بيروت متراً مكعَّباً من الماء في الثانية والاشتراكات تتزايد يوماً فيوماً الَّا انَّ كثيراً منها لا تتجاوز ربع المتر المكعَّب فليس من ورائها ربح يُذكر . وفي بيروت الآن ثلاثة احواض قريباً من تلّ مار متري اقدمها الحوض الاسفل يحتواه ٢٨٠٠ متر مكعَّب وقد بُني حوض آخر قريباً منهُ مضمونهُ ٣٠٠٠ متر مكعَّب والحوض الثالث هو الاعلى مشمولهُ ٢١٠٠ متر والشركة تفكّر في ابتناء حوض رابع فيكون للشركة عند قطع المياه ما يكفي لتموين البلد مدَّة ٤٨ ساعة . واعلم انَّ الآلة البخاريَّة التي جُهزت في الضبيَّة وكثرت نفقاتها يبلغ معدَّل شغلها في السنة نحو ٢٠ يوماً فقط عند نقص المياه

وفي الضبيَّة ثلاثة ارباع الماء الذي يحرّك الرفَّاس تنصبُّ في البحر . اما الماء المستعمل لريّ السهول المجاورة فربحهُ لا يُعبأ بهِ لانَّ الزراعة هناك ليست بخصبة وذلك

ان الريح البحرية لا توافق زراعة التوت والليمون فلا يبقى الّا قصب السكّر والبقول واعلم انّ المياه في الضيّة تسقط من علوّ ١٨ مترًا فقوّتها كافية لتحريك الآلات اللازمة لتنوير بيروت بالكهرباء.

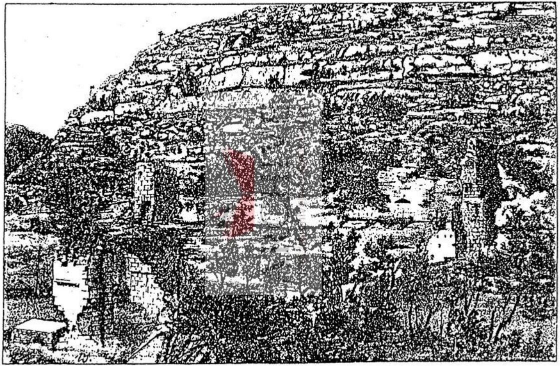
ومجمل القول انّ مياه نهر الكلب تنفع خصوصًا اهل بيروت وهي ايضًا تُدير طواحين عديدة وتسقي بتنيها البساتين الواقعة شمالي النهر · ومع ذلك ينصبُّ منها في البحر نحو نصفها فتذهب فائدتهُ

(نهر ابراهيم) هو نهر غزير المياه ومع ذلك لا تراه يفيد شيئًا الّا انهُ يدير بعض الطواحين ويسقي بعض الحقول · ومن ثمّ اتجهت الافكار الى عقد شركة لاستخدام هذه القوّة الضائعة · وكان قصدها ان تسقي البُقع الواقعة شمالي النهر وجنوبهُ وان تجلب الماء الشروب لجبيل وعمشيت وما يليهما · وكان في حسبانها اتخاذ القناة القديمة التي كان الرومان يجلبون بها مياه النهر الى جُبيل · الّا انّ هذه القناة التي تُعدّ من اعمال الهندسة الخطيرة كقناة بيروت قد استولت عليها يدُ الخراب بحيث يصعب الانتفاع منها

ويؤخذ من بحث سابق للمشروع المارّ ذكرُه انّ مياه النهر في معظم فصل القيظ لا تقلّ عن ٢٤٠٠٠٠ متر مكعّب في اليوم اعني مترين واربعة سنتيمترات في الثانية · وممّا تقصده الشركة فتح قناة كافية لجلب ٢١٥٠٠٠ متر مكعّب كل يوم لتسقى بها ما بيانهُ :

		المجموع
١	٦٠٠ هكتار من التوت يقتضي لكل هكتار في اليوم ٤٨ مترًا مكعّبًا من الماء	٠٢٨,٨٠٠
٢	١٥٠ هكتارًا اخرى لسقي حقول من التوت ومزدرات يلزمها في اليوم لكل هكتار ٩٠ مترًا مكعّبًا	٠١٢,٥٠٠
٣	١١٠ هـ لسقي مزروعات البقول والخضرة تحتاج في كل يوم لكل هكتار ١٣٢ مترًا مكعّبًا	٠١٤,٥٢٠
٤	٤٠ هـ من مزروعات قصب السكّر ينبغي لها لكل هكتار ١٨٠ م مكعّبًا	٠٠٧,٢٠٠
٥	تموين جبيل وعمشيت بالماء وقطعيات أُخر	٠٠٥,٩٨٠
٦	استخدام كميّة من الماء لتوليد القوّة المحرّكة عند مصبّ النهر	١٤٥,٠٠٠
		٢١٥,٠٠٠

وصاحب البحث الذي اخذنا عنهُ هذا الحساب يرى انّ مدخول السقي في السنة يبلغ نحو ٢٠٠٠٠٠ فرنك · ومأمولهُ ان يكون مهبط المياه عند مصبّ النهر من علوّ ستين مترًا فتنشأ قوّة كافية لدفع ١٤٥٠٠٠ متر مكعّب من الماء كل يوم وهي قوّة



توازي الف حصان بخاري · وزد على ذلك شلّالا آخر غير متواصل يُستعمل في اوان التي تكون قوّة انحداره ٢٥٠ حصانًا بخاريًا · فاذا بيع محصول كل حصان بخاري متداوم ببلغ ١٥٠ فرنكًا ومحصول الحصان البخاري غير المتواصل بثمن ٧٥ فرنكًا اناف الربح على ١٥٠٠٠٠ ف · ومن ثمَّ يزيد مدخول هذا المشروع اجماليًا على ٤٥٠٠٠٠ ف وذلك فضلًا عن مدخول الماء المجاوب لجبيل وعمشيت وهو مبلغ زهيد لا يُعبأ به

امَّا نفقات هذا العمل فيثمّنها المثمّنون نحوًا من ١٧٠٠٠٠٠ فرنك ولعلّها تبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ اذا حُسبت المصاريف الطارئة · امَّا النفقات السنويّة لاستثمار هذا العمل فتكون بالتقريب ٥٠٠٠٠ ف في السنة · فلو افترض انَّ الربح لا يتجاوز نصف المؤمل اعني ٢٠٠٠٠٠ فقط بدلًا من ٤٥٠٠٠٠ فيكون الربح الخالص عشرة في المئة (١

لكنَّ هذا التقرير نظريّ · افتراه ينطبق مع الواقع ؟ لا نظنّ وذلك لاسباب اوّلها ما سبق الاشارة اليه انَّ جلب المياه الى جبيل وعمشيت ليس من ورائه ربح يُذكر لقلّة سكّان تلك النواحي · فيبقى سقي المزروعات الصاقبة لمصبّ النهر · فانَّ صاحب التقرير المذكور آنفًا يحسب نحو الف هكتار من التربة الجيّدة المقصود سقيها فلعمري هذه مساحة كبيرة لا نعلم اين هي · فاذا ابتعدت قليلًا عن ضفّتي النهر وجدت الاراضي لا تصلح للزراعة وهي محجرة متقطّعة بالاودية وليس ثمَّة بقعة منبسطة ولا سهل ذو تربة زراعيّة وانّما تُلفي فقط قطعًا منها متفرّقة قليلة السعة · فاذا أُنشئت قناة في تلك الجهات ذات الحزون والبطون بلغت النفقات مبالغ جسيمة · وعلاوة على ذلك انَّ كثيرًا من ارباب الفلاحة يأبون الاشتراك ويستكفون مصروفة · وعندنا انَّ الاولى ان تُتّخذ القنيّ البسيطة القليلة النفقات فتُجلب المياه الى البُقع اليابسة الواقعة جنوبيّ النهر

ولا ننكر انَّ القوّة المحرّكة البالغة ١٢٥٠ حصانًا بخاريًا ذات بال جديرة بالاعتبار الَّا انها لسوء الطالع لا تاتي بفائدة كبيرة لبعد مقامها · ولوكانت هذه القوّة على جوار مدينة كبيرة مثل بيروت لأمكن استخدامها للتنوير الكهربائي · وكذلك تصلح هذه القوّة لتسيير عجلات الترامواي اللبناني بالكهرباء الَّا انَّ شركة الترامواي لم تفكّر في هذا

١) راجع التقرير في استخدام نهر ابراهيم تاريخهُ ٢١ ك ١ سنة ١٨٩٢ وضعهُ المهندس كوانيه (Ed. Coignet)

الامر حتى الآن ولعلَّها لن تفعل قبل سنين طويلة . وخلاصة القول يصعب الآن الاستفادة من نهر ابراهيم لما يحول دون ذلك من العقبات

وقد اتَّسعنا قليلًا في البحث عن نهري الكلب وابراهيم لنبيّن بمثّل الاول ما فازت بهِ الهمم وبمثل الثاني ما يمكن فعلهُ قلَّما يكون للانهار التي هي احسن موقعًا من نهر ابراهيم فان للمياه شروطًا جغرافية لا بدَّ ان تستوفيها لفائدة الانتفاع بها ولذلك ترى عيونًا غزيرة في لبنان تجري دون فائدة لوقوعها في وسط الجبال وبعيدًا عن المراكز المأهولة . وهذا ما حدا بنا ان نضرب عن ذكرها في هذه العجالة عن مجاري لبنان

(نهر الجوز) هذا النهر ربَّما نضبت مياههُ صيفًا عند مصبّه . وعليهِ فلا تظنّ انهُ يمكن استعمالهُ في غير سقي البساتين وتحريك الطواحين كما يُفعل بهِ اليوم

وليس الامر كذلك في نهر قاديشا (ابو علي) فانهُ كافٍ ليس لسقي سهول طرابلس فقط بل لتشغيل عدَّة معامل صناعيَّة لو اراد ذلك ارباب الصناعة . ومما يسهّل هذا المشروع قرب النهر من مدينة كبيرة غنيَّة بالحاصيل الاوَّلية ولديها الوسائط الكافلة بتصريف بضائعها ومحصولاتها

ثم يأتي بعد نهر قاديشا (نهر البارد) و (نهر عكَّار) ولا يُبنى عليهما املٌ كبير وذلك لقلَّة مياه الاول ولوقوع الثاني في مسيل عميق ضيّق . امَّا (النهر الكبير) فانهُ خطير الشأن كما رأينا . فان تحقَّقت امانينا وعاد لواديهِ مكانهُ من الاقتصاد ازدهرت تلك السهول الخصبة واغنى السكَّان بارباحهِ الطائلة

واعلم انَّ السواحل الفينيقيَّة لم تكن فقط في القرون الغابرة مراكز لتجارة العالم بل ايضًا مواقع مهيَّئة لمرافق الزراعة واعمال الصناعة . فنال القدماء بهذه الموارد الثلاثة ارباحًا طائلة . وعندنا انَّ هذه الثروة لا تعود الى ايدي ابنائهم اذا حاولوا احياء الزراعة والفنون الَّا بشرط استخدام القوى الطبيعيَّة التي قسمها الخالق على بلادهم لا سيَّما الكنوز المائية المخزونة في جبالهم . ويا حبَّذا لو استطعنا بهذه السطور ان نستلفت الخواطر الى هذه الامور النافعة او حركنا الهمم لمباشرة بعض هذه الاعمال الشريفة

سياحة حديثة الى جهات اوربة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

طارت بنا اجنحة البخار فمررنا على سيف بحر مرمرا قريباً من السور القديم الذي ابتناه قسطنطين الكبير وأتمّه ثاودوسيوس وبقاياه لا تزال ماثلة تدلّ على مناعتها وحسن هندستها. وكانت على يميننا بنايات الاستانة ودساكرها وأرباضها متواصلة الى مكري كوي فسان ستيفانو احد منتزهات دار السلام يقصدها وجوه العاصمة على اختلاف جنسيّاتهم ويقضون في حدائقها شهور الصيف وفيها الدور الفخيمة والأثار الفاخرة والحمّامات البحريّة المنظّمة. وكانت انوار مساكنها تشعّ تحت جنح الظلام وتنعكس على مرآة البحر فتسطع سطوعاً بهيّاً يأخذ بالابصار

ثمّ قطعنا سهول الروم ايلي الخصبة وهي ولايات كثيرة المرافق وافرة الخيرات تسقيها انهار زاخرة اخصّها الماريتزا (Ebre). وعند صباح النهار وقف بنا القطار في محطّة ادرنه وهذه المدينة احدى حواضر الولايات الشاهانية يبلغ عدد سكّانها نحو مئة الف. وهي بعيدة عن المحطّة لم نرَ منها الّا مآذنها الشاهقة وجوامعها العظيمة لا سيّما القصور البديعة ذات الزخرفة العجيبة والنقوش الرائعة التي سكنها السلاطين العظام قريباً من مئة سنة الى ان فتح السلطان محمّد الثاني القسطنطينية فنقل اليها كرسي الخلافة

وفي وسط المدينة القلعة القديمة لا يزال منها حتى اليوم آثار صالحة تنبئ بعظمتها. وادرنه شهيرة بصناعتها لا سيّما الحرير والطنافس والجلود. وفيها الورد الفاخر يجنيه اهلها من الجنان التي تكتنف المدينة

الصرب والبلغار

ثمّ سار القطار وقطع بعد نصف ساعة نهر ماريتزا على الجسر الكبير الذي عند محطّة مصطفى باشا وهناك تبتدئ حدود الروم ايلي الشرقيّة. واوّل ما استوقف انظارنا هيئة سكّانها البلغار ولبسهم وهم اشدّاء البنية معصوبو الحاق صغار القامة تراهم في الحقول اشبه بأكراد ما بين النهرين يلبسون السراويل الضيّقة مع الزنانير الواسعة وعلى

رؤوسهم اللبد الصوفيّة واكثرهم يرتزقون بالفلاحة ورعاية المواشي . وبلادهم سهول طيّبة التربة جنوبيّ جبال البلقان تغلّ لهم الغلات الوافرة لا سيّما الذرة والقمح وهم اليوم قريب من اربعة آلاف الف اكثرهم من الروم الارثذكس ولهم اكسرخوس يدبر برضى الحكومة السنيّة التي لها النفوذ الاقوى والحكم الاعلى على البلغار . وللكاثوليك بينهم رسالاتٌ عديدة من آباء صعوديين وقيامين وراهبات مختلفات لهم هناك مشروعات زاهرة من مدارس ومستشفيات وميتم وذلك فضلًا عن اسقفين كاثوليكيين من جنسهم وعدد الكاثوليك يبلغ ستين الفًا

وكان مسير قطارنا على حاضرتي البلغار وهما فيلبه او فيليبوبولي ثمّ صوفيا . والاولى حاضرة ولاية الروم ايلي الشرقيّة وهي من المدن الغريبة الشكل تراها على ثلاث تُلَل مستقلة بحيث استحقّت اسمها القديم الثلثة التُلل (Trimontium) وترى حولها اسوار من الحجار العاديّة التي يرقي العلماء عهدها الى الزمن السابق للاسكندر ذي القرنين وقد دعيت فيليبوبولي باسم ابيه فيلبوس . وموقع المدينة يضمن لها بالتقدّم في سبيل النجاح ويزيدها خطرًا موقعها على نهر ماريتزا السابق ذكره

امّا صوفيا فانّ القطار لا يبلغها الّا بعد دخوله في وسط جبال البلقان التي تبلغ في علوّها مشارف لبنان وهي تنتصب على هيئات شتّى والمياه تنحدر من جوانبها وترى على معاطفها القرى كانها متشبثة بصخورها ويكلّل هامتها غاباتٌ كثيفة الاشجار وارفة الظلال يروق العين منظرها وصوفيا في وسط هذه الجبال . وقريبًا منها طودٌ عالٍ يغيب في السحاب تبلغ قمّتهُ نيّفًا و ٢٢٠٠ متر . وليس لهذه المدينة اثر يذكر وانّما اهلها يهتمّون بتحسينها فمهّدوا لها الطرقات وانشأوا لها ساحات والمتنزهات وزيّنوها ببعض الابنية والمتنديات اخصّها القصر يرُ بازائه القطار

ثمّ يجري القطار مسرعًا وهو يخترق الجبال التي ترى على جانبيه ميمّمًا حدود السرب فلا يلبث ان يصل اليها فيجري بين حزون وبطون وغابات وواشات الى ان يحطّ في احدى مدنها المعدودة وهي نيش المبنيّة على نهر نيسّاڤا على ضفّته الشماليّة وكانت نيش تعتبَر من المدن المحصّنة لها قلعةٌ حريزة على ضفّة النهر اليمنى . وحوالي المدينة الحدائق والمشاهد الطبيعيّة المتنوّعة التي يقصدها الزوّار لترويح النفوس . وكان الباعة يعرضون على ركّاب القطار فواكه البلدة واثمارها اللذيذة مع كبر حجمها منها الاجّاص

(الجوخ) الفاخر الذي يجفّف ويُنقل الى البلاد النازمة او يُستقطر منهُ مشروب مُسكر كالعرق يحبُّ السريُّون شربهُ

حطَّ بنا القطار عند بلغراد عاصمة السرب في صباح الجمعة ١٢ آب وهي مدينة مبنيَّة على ملتقى نهرين عظيمين الساف والطونة · واهلها نحو ٥٠٠٠٠ وفيها مقام الحكومة وكرسيّ الدولة وملك السرب من سلالة قره جرجوفيتش يدعى بطرس الاوَّل قد سبق المشرق (٧ : ١١٨) واورد خبر استيلائهِ على زمام الملك · وكان عند مرورنا يتأهَّب لحفلة تتويجهِ التي تمَّت بأُبَّهة عظيمة بعد شهرين واتَّفق رجوعنا الى بلغراد في ٢٣ ايلول ثاني يوم هذا العيد فوجدنا المدينة مزيَّنة بالرايات والاكاليل وكان القصر الملكي يلوح في مظهر من الرونق والبهاء واضاء ليلًا في ثوب من النور كان راسمًا للعيون كلّ تقاطيع بنائهِ

وبلغراد مدينة قديمة الّا انَّ اهلها قد سعوا بتجديد بناياتها فصار معظم جهاتها كالمدن الاوربيَّة المحكمة البناء فيها الشوارع الرحبة والدور الفخمة والحدائق البهجة وقد بقي قسم من المدينة العتيقة وفيها قلعتها الشهيرة التي كانت تعدّ من احرز الحصون وفي الدفاع عنها اشتهر القديس حنَّا دي كابسترانو الراهب الافرنسيسي في اواسط القرن الخامس عشر

ولم نُقم في بلغراد الّا ساعات فزرنا الكنيسة الكاثوليكيَّة وهي صغيرة الّا انها حسنة البناء مزيَّنة بالنقوش والتماثيل وللارثذكس في المدينة رئيس اساقفة واكثر السكّان على مذهبهِ

المجر والنمسا

وفي اليوم عينهِ ركبنا القطار الى هنغارية وهي بلاد المجر المتَّحدة مع النمسة تحت حكم الامبراطور فرنسوا جوزيف الذي يُدعى ملك هنغارية · والمجريون يسوسون بلادهم كالنمسويين لهم مجلسان مجلس المبعوثين ومجلس الشيوخ والاعيان يسنُّون السُّنن ويشترعون الشرائع فينفذونها بعد مصادقة الملك عليها · وهم يبالغون في محبَّة اوطانهم تراهم كلفين بنجاحهِ وترقيتهِ · امَّا اخلاقهم فهي اشبه شيءٍ باخلاق الفرنسويين من حيث كرم الشيم والاريحيَّة وصفاء النيَّة وصدق اللهجة والتحمُّس والحدَّة

والمجريين لغة قائمة بذاتها لا تشبه اللغات الاوربيَّة في تركيبها وانَّما لها علاقة مع اللغات المعروفة بالفنيَّة (finnois) والتركيَّة فبينها وبين التركيَّة نسبة

والجهة التي تقطعها السكَّة الحديديَّة من حدود هنغارية الشرقيَّة الى عاصمتها بودابست كأنَّها سهول منبسطة وبقاع فسيحة طيّبة التربة يزكو فيها الزرع وتتوفر المستغلَّات على انها شديدة الحرارة تستتمع فيها المياه شتاء فيفسد بذلك هواؤها ·
ولهنغارية جهات أُخرى جبليَّة في شمالها وشرقها تُزرع فيها الكروم ويُصنع بها الخمر الجيدة الشهيرة في البلاد كشهرة جعتهم الفاخرة

وعاصمتهم تجاري امهات المدن الاوربيَّة في حُسن هندستها وسعة شوارعها وفخامة ابنيتها وتجهيزها للاختراعات الحديثة في التنوير والنقل هذا فضلًا عن مشاهدها الطبيعيَّة ومنتزهاتها الصناعيَّة وحمَّاماتها المعدنيَّة الشهيرة · والمدينة تُقسم الى قسمين يفصل بينهما نهر الطونة اي بودا وهي على ضفَّة النهر اليسرى وبست على ضفَّتهِ الشماليَّة يبلغ عدد سكَّانهما معًا نحو ٧٠٠٠٠٠ فيكاد يبلغ ضعف ما كان عليهِ قبل عشرين سنة ·
وبودا على تلّ مرتفع يُرقى اليها على عجلات تجرُّها الجبال · وفوقها منظر من ابهى مناظر الطبيعة يكشف على سائر المدينة وحدائقها وتعريجات نهرها · وهناك قصر الملك الذي يعارض اجمل القصور بهندستهِ ومن متاحفهِ كنيستهُ التي هي تحفة في البناء وهي غنيَّة بالذخائر المقدَّسة من جملتها يد القديس اسطفان ملك هنغارية ومنصّر شعبهِ وُجدت زمنًا طويلًا بعد موتهِ سالمةً من الفساد تُعرض لاكرام الجمهور يوم عيدهِ · وعلى هذا التلّ عينهِ الكنيسة الكاتدرائيَّة المنسوبة الى الملك متّياس (Mathiaskirche) قد رُمّمت وهي من الطرز القوطيّ الشهير بمحاسنهِ · وهناك القلعة المنيعة التي ردَّت مرارًا حملات الاعداء

ومن محاسن بست دار ندوتها تُشبه في هندستها ومفاخرها وحسن تنوشها وسعة ردهاتها دار الندوة الانكليزيَّة في وستمنستر · ومنها كليَّتها الشهيرة الغنيَّة بالآثار الادبيَّة فيها مكتبة لا يقلّ عدد كتبها عن ٧٠٠٠٠٠ بين مخطوط ومطبوع وتدرَّس فيها اللغات الشرقيَّة كالعبرانيَّة والعربيَّة برَّز بين مدرّسيها الدكتور اغناطيوس غلدتسير من مشاهير الكتبة لهُ ابحاث جليلة في تواريخ العرب تنطق بسعة معارفهِ · ومنها جزيرتها الواقعة في وسط نهرها المدعوَّة برغريت تزدهي فيها كل عجائب الطبيعة من زهور واشجار وحدائق

يُعنى بهندستها قوم من بارعي البستانيين وهي ملك احد اقارب الامبراطور . ومنها ايضاً متاحفها النفيسة جُمعت فيها اصناف العاديَّات الفنيَّة . والدين في المجر زاهر حضرنا بعض الحفلات التي تنبئ بتُقى اهلها . ووافق وجودنا في بودابست عيد انتقال العذراء فجرت في كل الكنائس مظاهر دينيَّة عظيمة اكراماً للبتول التي يدعوها المجريّون « سلطانة المجر » ويرسمون صورتها مع هذا الشعار في شارات مملكتهم وفي نقودهم . وكانوا على وشك ان يعقدوا مؤتمراً يتباحثون فيه عن يوبيل العذراء البريئة من الدنس . وممَّا يشهد على غيرتهم بناء كنيسة عظيمة صرفوا عليها حتَّى الآن عشرة الاف الف من الفرنكات واذا تمَّت تكون اهلاً بتلك العاصمة الفاخرة . وللكثلكة في الهنغار السهم الأفوز فانَّ عددهم ينيف على ثلثي السكَّان فيبلغ ١٢٠٠٠٠٠٠ وكذلك الرهبانيَّات فائزة بنفوذ عظيم بمشروعاتها الخيريَّة من تعليم وتآليف وانذار ومعالجة ضروب الامراض . وقد وجدنا اخوتنا اليسوعيين يُعنون هناك بكل اعمال الدين بملء الحريَّة وقد اشتهرت مدرستهم الكبرى في كالوتشا حيث يدرّسون العلوم العالية . ولهم هناك مرصد فلكي ذائع الشهرة وينشرون مجلة علميَّة في اللغة المجريَّة . ويوجد في المجر كثيرون ممن يتبعون طقوس الكنيسة اليونانيَّة منقولة الى المجريَّة بينهم كاثوليك متّحدون مع رومية ولهم في المجر اساقفة يخضعون للحبر الاعظم رأساً ومنهم ارثدكس لهم بطريرك في كلوفتش وتحت امرته عدَّة اساقفة . اما البروتستنت فاكثرهم متَّبعون لشيعة كلوين . واليهود في هنغارية عديدون تدعى بلادها فردوس الاسرائيليين

قضينا في بودابست اربعة ايام مرَّت علينا مرور البرق ثمَّ قصدنا ڤيَنَّة والقطار يقطع ما بينها وبين بودابست باقلّ من سبع ساعات . وطريقهُ على ضفَّة الطونة في بقاع تسحر العين بمناظرها البديعة من رياض نضرة وتلال مفروشة بالاحراج وقرى متقنة البناء ومدن كبيرة كبرسبورغ وجُزُر تنعكس صورها في مرآة النهر حتَّى يبلغ اخيرًا أرباض ڤيَنَّة فيسري بينها حيناً لسعتها حتى يدخل محطَّتها الشرقيَّة . وفي هذه العاصمة مقام الامبراطور فرنسوا جوزف لهُ قصر ملكي واسع الارجاء جميل البناء في شونبرون تكتنفهُ الحدائق الغنَّاء فيها من كل مواليد الطبيعة طُرَف كالحيوانات الغريبة والاشجار العزيزة نخصُّ منها بالذكر مجموعاً من اشجار النخل تنيف على ٣٠٠ صنف بين كبيرة وصغيرة ومجموعاً من البيناوات الزاهية الالوان . وقد اتَّسعت ڤيَنَّة منذ عشرين سنة

حتى لحقت بالقرى فأُلحقت بها وصارت من تبعتها وبلغ عدد اهل ڤيَنّة بذلك ١٥٠٠٠٠٠ بنيف

والمدينة على شاطئ نهر الطونة الايمن وهو عندها واسع المسيل غزير المياه في وسطه عدَّة جزائر غضّة يتردَّد اليها الزوَّار · وڤيَنّة غنيَّة بالآثار الدينيَّة والتاريخيَّة والادبيَّة · منها كنيسة القديس اسطفان من اعظم الكنائس وافخرها لم يتمَّ بناؤها الَّا بعد شغل متواصل دام نيِّفًا واربعمائة سنة لها برجٌ بديع الصنع طولهُ ٤٤٩ قدمًا · ومنها الخزينة الملكيَّة جُمعت فيها جواهر ملوك اوستريا وحُلاهم وتيجانهم وصوالجهم من جملتها تاج كرلوس الكبير وسيفهُ وهناك الهدايا التي أُرسلت لملوك المانية من السلاطين العظام وكذلك ذخائر ثمينة أهداها الاحبار الرومانيُّون لملوك جرمانية كقطعة كبيرة من الصليب المقدَّس ومن الحربة التي طُعن بها الفادي · ومنها دار العاديَّات والمسكوكات الجامعة لآثار نادرة من اطوار مختلفة منذ عهد اليونان والقلتيين والرومان الى القرن الاخير · ومنها خزانة الكتب الحاوية فضلًا عن الطبوعات نحو ثلاثين الف كتاب مخطوط ربعها باللغات الشرقيَّة وبين مطبوعاتها ٢٠٠٠ كتاب في الموسيقى · وقد أُفرد متحف لآثار عربيَّة مخطوطة وُجدت في الفيوم في عدد نحو ثلاثين الفًا وهي عبارة عن قِطَع من البردي والنسيج والرقّ منها معاهدات وحجج بيع وشراء وغير ذلك يرتقي بعضها الى اوَّل ظهور الاسلام · ومنها ايضًا مكتبة الكنت دي روسي في احد اديرة الآباء اليسوعيين وهي غنيَّة بالمطبوعات الأوَّليَّة (incunables) النادرة مع قسم من مخطوطات في لغات شتى

وفي ڤيَنّة من البيع والقصور والملاعب والساحات المزيَّنة بالتماثيل المغروسة بأصناف الاشجار ما يقصر عنهُ الواصف في مجلَّدات فضلًا عن صفحات قلائل · ومن المطابع الشرقيَّة الشهيرة فيها مطبعة الآباء المكيتاريين المجهَّزة بكل الادوات الطبعيَّة والاكتشافات المستحدثة المنوطة بها

والنمسويُّون معروفون بتقاهم ودماثة اخلاقهم وانسهم ومحبَّتهم لملكهم الامبراطور فرنسوا جوزيف الذي يستحقُّ ذلك برفقهِ وحسن سياستهِ وتمسُّكهِ بالمبادئ الدينيَّة · وهو في ذلك قدوة للجميع متمّم لكل فرائض الكنيسة جهارًا فيحضر الذبيحة الالهيَّة مع كل حاشيتهِ واهل بلاطهِ في كل احد ويمشي في الطواف الحافل الذي يقام

يوم عيد الجسد · ويوم خميس الاسرار اسوةً بالسيد المسيح يغسّل اقدام بعض الفقراء ويخدمهم بمساعدة الامراء ووجوه بلاطهِ (البقية للقادم)

الياذة هوميروس

نبـذة في تعريبها الحديث (تابع)

لحضرة الاب خليل اده اليسوعي

٢ التعريب

قد اتينا في العدد ١٩ و ٢٠ من المشرق بلمعة بيّنا فيها الاصول التي ركن اليها حضرة معرّب الالياذة ووددنا لو كنّا نستطيع ان نبسط للقارئ كل ما تضمّنتهُ مقدّمات الكتاب على ما سبقنا فاوردناه في بادئ مقالتنا ولكنّا نجتزئ بالقول على التعريب لئلا يطول بنا الكلام فيملّ السامع موضوعاً لا يقتضي الملل

غير ان الصعوبة كل الصعوبة في تعريب الالياذة العربيّة سيّما وانّ معظم القرّاء الشرقيين لا المام لهم بآداب اليونان واساطيرهم وخرافاتهم التي شحنوا بها اشعارهم. فرأينا ان نعمد الى بعض من اهم فصول الالياذة ونذكر منها فِقَرًا تكون بمنزلة امثلة يستشفّ القارئ من ورائها ما ضربنا صفحاً عَنهُ ونورد في اثنائها ما بدا لنا من الملاحظات. ومع ذلك فانا نكرّر قولنا ان لا شيء يُغني عن مطالعة الكتاب نفسه والادمان على دراستهِ مع ما في بادئ الامر من العناء لقلّة اعتياد القراء الشرقيين على شعر غايتهُ وصف الحوادث والاخلاق والمناظر الطبيعيَّة. واننا نكفل لمن اقبل على هذه الترجمة واطال النظر فيها لذّةً لا مزيد عليها ومنفعة ادبيَّة لا يكاد يجدها في مطالعة الدواوين العربيَّة اذ جلّ ما يتوخّاه العرب في نظمهم التفنن في سبك المعنى المطروق في قالب لم يسبقهم اليه احد وقلّما يعنون بما سوى ذلك

واول ما يتسنى لنا ذكره هو النشيد الاول وموضوعهُ الخصام بين اخيل واغاممنون وهو من الاناشيد المعدودة فهاك مجملهُ نقلاً عن كتاب المعرّب ببعض تصرُّف:

لمّا اكتسح الاغريق بلاد الطرواديين عاثوا في مدائنهم وسبوا نساءهم وحصروا

اليون عاصمة بلادهم عشر سنوات . وكان في جملة السبايا فتاتان خريسا وبريسا اجمع زعماء الجيش على تمليك الاولى منهما لاغاممنون ملك ملوكهم والثانية لآخيل بطلهم فحمل خريس كاهن افلون ما غلا وعزَّ من المتاع والمال واتى الى معسكر الاغريق فكاكًا لابنته خريسا

فجنح الزعماء الى اجابة ملتمس الكاهن ولكن اغاممنون اغلظ لهُ القال وردَّه خائبًا . فانثنى من حيث اتى يستغيث الاله افلون فاغاثهُ وضربهم بوباء صرع ابطالهم فهاجت الحميَّة صدر اخيل ودعاهم الى مجلس شوراهم للمفاوضة في استطلاع كنه الامر . فلمَّا اجتمعوا أنبأهم العرَّاف كلخاس ان افلون ناقم منهم لخيبة كاهنه وانهُ لا سبيل الى استرضائه ما لم يردُّوا الفتاة الى ابيها فاذعن اغاممنون كارهًا وعلى ان تساق اليه بدلًا منها سبية اخرى وان كانت سبية اخيل . فعارضهُ اخيل واشتدَّ الخصام فاعتزل اخيل القتال والتجأ الى امهِ تيتيس احدى بنات الماء فطلبت من ربّ الآلهة ان يخذل الاغريق في حملاتهم على اليون حتى يرضى اخيل فاستجاب دعاءها وبالحقيقة . اخفقت مساعي الاغريق في حصار اليون حتى رضي اخيل وكان ذلك غِبَّ مقتل صديقه الحميم فطرقل

فترى من هذا البيان مبنى منظومة هوميروس كلها اما النشيد الاول فقد امتاز بجودة التنسيق وبلاغة الخطب والضبط والاحكام في الوصف ذلك كلُّهُ ببساطة لا تعادل وعبارة تجري كالماء الزلال

وبوسع القارئ ان يقف على بعض هذه الصفات بمطالعة التعريب لا سيما في المواضع التي قلَّت فيها الاعلام الاعجميَّة وهي كما لا يخفاك ثقيلة على الآذان التي لم تألفها . طالع مثلًا وصف المجلس الذي عقده اخيل ليتبيَّن سبب ايقاع الاله افلون بعسكر الاغريق . هذا العرَّاف كلخاس (ص ٢١٢)

خبيرٌ بعلم الغيب ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ فانتاب فيهم محذِّرا :
« اتأمرني آخيل ان اكشف الذي يغيظ إلاهًا يُنفذ النَّبل اسطرا
سأفعل ان تُقسم بأن تدفع الاذى بكفِّك والانصاح عني مُجهرا
سيُغضبُ قولي سيدًا ذا خطورةٍ لديهِ الاخائيُّون تعنو كما ترى
فقال أخيلُ : « فأَتْمِننْ وهاتِ ما لديك من الانذار بالغيب مخبرا
بحقِّ افلونٍ مقرِّبِ زفْنا وربِّ بما اولاك جئت معبِّرا

فما اختلجت نفسي بصدري ومقلتي   بعيني من الاغريق لا تخشَ منكرا
وتقسَ اغاممنون قَبِيلَ قبولنا   اذا كنت تعني لن تُمسّ وتنشرا »
فلمّا اطمأنّ الشيخُ قال: « فما على   ذبائح او نذرٍ هوى السخطُ مسعّرا
ولكنّ اتريذًا على الكاهن اعتدى   وامسكَ عنهُ بنتهُ وتجبرا
فان لم تؤب فالويل فيكم يخيمُ   وليس يُداني الجبرُ منكم مكسرا
لترجع لاهليها بلا فديةٍ ولا   بديلٍ وتؤتون الذبيحِ المطهَّرا
فيُعطى خريساً ثمّ نستدفعُ الأذى   ونستعطفُ الربَّ الغضوبَ لما جرى »
فقام اغاممنون ذو الطَّول مُغضباً   يُعيزهُ الغيظُ العنيفُ تذمُّرا
وقال وعيناه تطاير منهما   شرارٌ لكلخاس الوليّ مُمزّرا
« أيا مُنبئَ السوءِ الذي لم يفه لنا   بخيرٍ ولكن ظلّ بالشرّ مُنذرا
بقولٍ وفعلٍ لم نُنقم قطُّ حكمةً   وها انت للاسرار جئت مفسّرا
تقولُ إلاه النّبل قد شذّ صائلًا   لانيَ لم أرضَ الفداء المقرّرا

ومع ذلك فهو يؤثر خير المصلحة العموميَّة على منفعتهِ الخاصة على ان يجعل لهُ لاغريق عوضاً من النصيب الذي حرم منهُ . فاغاظ المقال اخيل:

فقال المجتبى آخيل: مهلًا ايا اتريذ ياسامي المقام
أأطمعَ كل مخلوق . اترجو مكافأةَ الاراغسة العظام
فليس لهم – وتعلم – بيت مال يضم كنوز اموالٍ ركام

واول ما يبدو لنا هو مناسبة بحري الطويل والوافر لمثل هذا المقام وقد اراهما افضل من الخفيف الذي استهلّ بهِ المعرّب قصائد النشيد الاول لاسباب ذكرناها قبلًا ثم ان التعريب صادق بالاجمال يعبر عن حقيقة الاصل تعبيرًا كافيًا ولعلهُ يقصر عن تأدية بعض امورهي وان كانت دقيقة الّا انها تولي الوصف تأثيرًا عظيمًا وما الوصف الّا بالدقائق

ولكي يكون القارئ على بيّنةٍ من طريقة المعرّب وفضله في الترجمة احببت ان اورد ترجمة بعض الابيات التي ذكرتها ترجمة حرفيَّة بيتاً بيتاً بل لفظة لفظة على قدر لاستطاعة

هاك اولًا جواب اخيل لكلخاس يومئذٍ من بطش اغاممنون بهِ:

كن في غاية الامن وقل الوحي الذي تعلم
فلا وحق افلون عزيز الذي اليه يا كلخاس
تتضرَّع ثم تعبّر للاغريق ما اوحاهُ

لا احد وانا حيٌّ على الارض اتمتع بالنور
يرفع عليك بالقرب من السفن الجوفة يدًا ثقيلة
لا احد من الاغريق ولو اغاممنون عنيت
ذاك الذي يدَّعي الآن انهُ اعظم الاخائيين

وهذا ايضًا وصف اغاممنون القائد العام لمَّا قام مجيبًا على كلام العرّاف كلخاس :

فلما قال (كلخاس) هذا جلس وحينئذٍ من بينهم انتصب
البطل ابن فيلا اليمد السطوة اغاممنون
عبوس ومن الحنق الشديد نفسهُ قد اظلمت
وانتفخت . وكانت عيناه بالنار المؤججة اشبه
فنظر اولًا الى كلخاس شزرًا ثم قال الخ

فيرى القارئ كيف استعمل المعرب الاستعارات الاصلية وكيف اعتاض بغيرها لما رآها غير ملائمة لطبع اللغة وكيف غيَّر النظام الاصلي في خلال الجملة الواحدة لضرورة النظم الى غير ذلك مما لا فائدة في تنبيه القارئ اليه . وما قلناه هنا يطلق على باقي المنظومة فلا داعي لاعادته فيما بعد . وفي هذا القدر الزهيد من النشيد الاول كفاية اذ لا يسعنا الوقوف لنلتقط كل ما حواه من الدرر الثمينة

*

نظمَ القوَّاد سُرى الجندِ بِما الجيشين على الحذَرْ
زحفَ الطرْوادة عن بعدِ بصديد عالٍ مشتدْ
ودوي يقصف كالرعدِ

كالرهو اذا اشتدَّ المطرُ والقرُّ مواطنهُ يذرُ
في الجوِّ تعجُّ لهُ زمرُ فوق الاوقيانوس تنتشرُ
للبغية محكمة المشدِ

فيمُّ الفتك بجملتها امَّا الاغريق بجملتها
فشت بثقيل سكينتها آكت والنفس مجدَّتها
تتناضد وارية الزندِ

. . . .

كضباب نُوطُسُ قد نشرا في قنَّة طودٍ فاستترا
وارويته الراعي ذعرا لكن اللص به نظرا
خيرًا من ليل مسوَّدِ

هذا افتتاح النشيد الثالث وفيه يصف هوميروس زحف الجيشين ثم براز منيلاوس اخي اغاممنون وفاريس اخي هكطور وقد كانا سبب الحرب

تلوت هذه الابيات يوماً على مسامع بعض الشبان الاذكيا. ثم سألتهم: ما قولكم فيها. فاجابوا: هي غاية في الجودة. قلت: وما الذي حملكم على استحسانها. قالوا: لانها تمثل في ايقاعها حركة زحف الجيوش واشتباك القتال لانَّ الخبب وهو بحرها انسب شيء لمثل هذه المواضيع. فاعترضت عليهم قائلاً: أجل انَّ الخبب في الدور الاول يمثل تمثيلاً حسناً زحف العسكر ولكن ما رأيكم في الدور الثاني: «كالزهو اذا اشتدَّ الخ. وفي الرابع كذباب نوطسُ الخ . . . هل ترون ان الخبب هو الوزن المناسب لوصف طيران الزهو وتحليقها في الجو وتكاثف الغيوم واظلام النهار ابان العاصفة؟ فوجموا ثم رفع واحدٌ منهم صوتهُ فقال: ابتدأ الشاعر بوصف الزحف فاختار الخبب ولمَّا لم يقدر ان يغيّر الوزن اتمَّ وصفهُ عليهِ. فاذاً لا ملامة عليهِ. فاجبت: ربَّما صدقت في بعض ما قلت ولكني ارى في كلامك دليلاً على عدم صلاحية الخبب في مثل هذا المقام وذلك لانهُ لا يصلح الَّا للمحاكاة امر واحد وهذا عيب في الشعر «القوالي» لانَّ من مزايا الفخامة في الرواية وكثرة التفنن في اساليب الانشاء فيجب والحالة هذه ان يلين فيه الايقاع الواحد حتى تلائم رنتهُ الاشياء الموصوفة. وان الخبب كما قلنا جامد صلب لا تتغير نغمته. ولكن مخاطبي الحَّ من وجه اخر فقال: هذا غير ممكن في الاوزان العربيَّة. قلت: هذا لا اسلم فيهِ والشاهد لا اطلبهُ من غير هذا الكتاب فاسمع هذا الوصف لزحف الجيش واشتباك القتال. ثمَّ قرأت الابيات الآتية (ص ٣٧٥)

تدفّقت الاجنادُ ايَّ تدفقِ	الى الحرب تجري فيلقاً اثر فيلقِ
كثائر امواج البحار تهيجها	من الريح انواءٌ بغير ترفُّقِ
يُدفَعُ بعضاً بعضها فوقَ لُجّها	الى حيث فوق الجرف بالنفِ تلتقي
فتنتضُّ أعلى الصخرِ عن زَبَد غثا	تنرغرُ عن قصف المدير المصفق
بهم اولياء الامر يُسمعُ امرهم	وهم لاهوى نفس ولا صوت منطق
تمالهم بُكماً لاول وهلة	وقد نُظموا نظمَ الحبير المحقق
وفوق الصدور الطَّاعات تألَّقت	صوارمُهم والسمرُ ايَّ تألُّق
. . . .	. . . .
ولمَّا تدانوا والنفوسُ سواخطٌ	تحرَّقت الأجنادُ ايَّ تحرُّقِ

طعانٌ تلاقت في صدورٍ تدجَّجت وكرٌّ بواريٍ بأعقا فوق باحق
وزفرةُ مقتولٍ ونعرةُ قاتلٍ بسيل دماءٍ بالاسنَّة مُهرَقِ

واردفتُ انشادي قائلاً : فهذا الطويل يصف مشي الرجال واشتداد الطعان ويتّسع مع ذلك لكل التشابيه التي يأتي بها هوميروس في خلال كلامهِ ووصفهِ وهي كما قلنا جزءٌ مهم من فنونهِ . فلما انتهيت نظرت اليهم فاذا هم يهشون طرباً فعلمت ان حجتي اثرت في قلوبهم

واني اجد في استعمال الادوار محذوراً اخر لا يختصُّ بهذا النشيد وانما هو مطلق على كل الادوار التي استعملها المعرّب وان كانت بحد ذاتها لطيفة رقيقة تلذ الاسماع . وذلك انَّ الدور لا يصلح للرواية لانهُ يقطّع النظم تقطيعاً لا ينطبق على حقيقة الامور المرويَّة فضلاً عن ان ترجيع القافية الواحدة في اخر كل دور يشبه اللازمة واللازمة من مختصَّات الشعر الغنائي او المزجي (lyrique) لا من الشعر القصصي . نعم قد يتّفق حتى في الشعر الغنائي ان يروي الشاعر خبراً او يصف امراً خارجياً ولكن بين طريقة روايته وطريقة القصّاص بوناً شاسعاً لان ناظم الشعر الغنائي لا يروي الّا ليتأمل او ليساعد العاطفة فيهيجها او يخمد حرارتها فلا تزال العواطف الشخصية تلوح من اضعاف روايته . واما الشاعر القصصي فلا يعرب عن عواطفه الشخصية بل يبقى محتجباً حتى لا يمثّل امام القارئ الّا مشهد الحوادث الخارجية

وزد على ذلك صعوبة النظم الدوري فانَّ من شروطهِ ان ينتهي المعنى انتهاءً يصلح معهُ الوقف في اخر الدور فيصعب على الشاعر التزام هذا الشرط بل ربَّما دفعتهُ الضرورة الى الزيادة على الاصل او الى اسقاط شيءٍ منهُ . ولم ينجُ حضرة المعرّب على براعتهِ من هذه العثرة . ففي الدور الاول مثلاً زاد على الاصل تشبيهاً ليس فيه لما شبه صوت زحف الطرواد « بدوي يقصف كالرعد » وكذلك الشطر الثاني من البيت الاول فهو زيادة . وفي الدور الثاني ضاق المجال بهِ فلم يقوَ على تكميل التشبيه فاحتاج الى شطر من الدور الثالث اتمَّ فيهِ وصف الزهو ثمَّ انتقل الى الكلام في احوال الاغريق ولو كان الوزن اوسع والين من الخبب لكان على ظنّنا اقوى على صيانة الاصل في التعريب

وقد خالجتني هذه الافكار عينها لما كنت اطالع في النشيد السادس خبر التقاء

هكطور بامرأته وابنه الرضيع ثم وداعهُ لها قبل الرجوع الى ساحة القتال وهي من ابدع الروايات وقد نظمها المعرب موشحاً مثمّناً على ما سيرد لك مثالهُ . وكنت اقول يا ليتهُ نظمها قصيداً او مصرعاً من الطويل مثلاً او من الوافر او من البسيط . وقد زاد تحسري لمّا بلغت الى آخر النشيد وقرأتُ الابيات البديعة التي ختمهُ بها فظهر بالمقابلة فضل ايقاعها على ادوار النشيد وهاك بعضاً منها يصف فيها ذهاب هكطور ولحاق باريس به (٤٨٠) :

مضى وبالي الصرح فاريس جانحٌ الى الحرب منهُ تستطير الجوانحُ
بعدّة فولاذ تألّقَ نورُها جرى وهو بين الطرق كالبرق رامحُ
كمهرٍ عتيٍّ فاض مطعمهُ على رباطهِ بيتّها وهو جامحُ
ويضربُ في قلب المفاوز طامحاً الى حيث قلب الارض بالسيل طافحُ
يُروّضُ فيهِ اثر ما اعتاد نفسهُ وطرب ان تبدو لديهِ الضحاضحُ
ويشمخ مختالاً بشائق حسنهِ يطير واعراف النواصي سوابحُ
وتجري بهِ من تسها خطواتهُ الى حيثُ غصّت بالحجور المسارحُ
كذا كان فاريس وقد جدّ مرحاً عليهِ كنور الشمس تزهو الصفائحُ

فالحق يقال ان المعرب اجاد فيها حتى كأنما انتجتها قريحتهُ لا قريحة هوميروس . ولا يمنعني اعتراضي هذا من استطابة تلك الادوار التي يصف الشاعر فيها التقاء البطل بولده وزوجته (ص ٤٦٩) :

ثمَّ جدّ السيرَ للقصر على عجلٍ يلقاها قبل الرحيل الخ

فلم يجدها في القصر فسأل عنها فقيل لهُ (٤٧٠) :

فرأيناها جرت نحو الحصون جري من داهمهُ مسُّ الجنون تصحب المرضع والطفل الحنون
فانثنى هكطور من حيث مضى وعلى الفور جرى والصبر عيل

ثمَّ التقى بامرأته عند باب المدينة ومعها طفلها تحملهُ المرضع (ص ٤٧١) :

فاليهِ باسماً سرّاً رنا وانبرت زوجتهُ الدمع هيل :
يا شقيَّ البخت ذا البأس الوخيم سوف يُلقيك بلجّات الجحيم وليُ الإرمال والطفلُ يتيم
سوف تلقاك جماهير عداك وتُلقيك مضاضات الهلاك فلمن ابقى اذا متَّ سواك
آه لو أُلقى الى جوف الثرى قبل ان تُلقى على الارض قتيل
ان تموتنَّ الأسى يخلد لي وعنا النفس ودمعُ المقل لا ابٌ اسلو بهِ لا أمَّ لي

ثم بعد ان ذكرتهُ كيف هلك ابوها وامها واخوتها السبعة هتفت (ص ٤٧٣) :

انت ابي واخي انت ابي انت بعلي انت كل الارب

انت كلُّ الاهل لي اذ انت حي آه فارحم واتعطف رفقاً علي آه فارفق بي وبالطفل لدي
(انا لا اطمعُ ان تأبى الوحى ومن الهيجاء جبناً تستقيل
انما ارغبُ ان تحمي الذمار وتقي نفسك من شرّ البوار) فهنا السورُ تداعى للدمار
فبناهُ كلُّ ذي عزمٍ وبأس كذيوميذ وأتريذ أياس وثلاثاً كاد يندكُّ الاساس
لستُ ادري هل اتوه عن هوى او لهم قد كان في الوحي دليل
قرب تين البر فوق البرج قرّ وتحفّظ فيه من شرّ امَرّ فلك النجو (والجيش الظافر)
وليَ السلوى وللطفل الرجا

نبه المعرب في حاشية علقها على اخر هذا الخطاب واشار فيها الى الابيات الاخيرة انهُ قال صراحة ما قالهُ هوميروس ضمناً خلافاً لما توخاه من نبذ التصرف . فهذا التنبيه يدلُّ على حرص المعرّب وغيرتهُ على ابراز معاني هوميروس كما هي . ولعل رغبة المعرّب في تصريح ما اتى بهِ هوميروس كان سبباً لتضعف قوة خطاب اندروماخ نوعاً. لانَّ اندروماخ على ما في الاصل حاولت اقناع هكطور اولاً بحق حبه لعائلته . ثم لمَّا كانت تعلم ان نفسه الكريمة تأبى الانقياد الّا الى ما يقتضيه الواجب منهُ انهت كلامها ببرهان بنتهُ على صوالح المدافعة عن المدينة فاشارت اليه ان يصفَّ عساكره «قرب تين البر فوق البرج» لانَّ الاغريق بقيادة ابطالهم حاولوا ثلاثاً ان يتسلقوا الجدران من ذلك المكان . فترى ان المعرّب ادخل بعض التغيير في تنسيق المعاني ونظامها وقد اتفق لهُ ذلك غير مرة

ولنسمع الآن جواب هكطور وقد اجاد فيه المعرّب كما سترى (٤٧٦) :

سوفَ تندكُ بالبون القلاع وتوافينا الملمات الفظاع كلُّ هذا منهُ قلبي لا يراع
لا اذا أُمي في الترب ثوت او ابي من دمهِ السمر ارتوت او رميم الاخوة الارض احتوت
لا اذا الطرواد بادوا واذا خرق الزرقاء للجوّ الوبيل
يد ان الخطب كل الخطب آه ان تكوني في سبيات العداه تذرفين الدمع عن مرّ الحياه
تستقين الماء كالعبد الاسير من مسيس او ينابيع هفير تنسجين القطن والقلبُ كسير
كلُّ بؤسٍ كلُّ رزءٍ وعنا كلهُ ان حلَّ ذا الرزء قليل

ولم ينسَ ولده العزيز واليك وصف ذلك المشهد البديع على بساطته : (٤٧٧)

ثم مدَّ اليد للطفل فصدّ جازعاً لمّا رأى تلك العدد من نواصٍ سابحات وزرد
وبصدر المرضع الطفل ارتقى فلديه ابواهُ بسما وبرفقٍ عنهُ هكطور رمى
ذلك المغفر والطفلَ بدا بيديه بين تقبيل يُميل

وبعد ان دعا لهُ وطلب من الالهة ان يكون ولده شبيهًا بابيهِ معزيًا لوالدتهِ «.. القاه لها مستبشرا وهي ضمتهُ لصدر عطرا »

بسمت باكيةً وهو رنا مُشفقًا ينظرُ للطرف البليل

ثمَّ ناداها وقد رام المجلْ « لا يشقِّ الامر لا يمنُ الوجلْ ليس موتٌ قبل ادراك الاجلْ

كلُّ صنديدٍ ورعديدٍ جبانْ مُذ تبدَّى بوجود للعيانْ ليس ينجو من تقادير الزمانْ

ولكلٍ عملٌ فامضي كفى واطلبي اعمال ربَّات السديل

فلك النسجُ وفتلُ المغزلِ ولنا اعمالُ سمر الذُّبَّلِ وانا الايقاعُ بالابطال لي »

لبس المغفر حالاً ووثبْ ومضت تلتفتُ من حيث ذهبْ تذرفُ العبرة والقلبُ التهب

دخلت للصرح بولْيها الشجا زفرات اشجنت كلَّ الدَّخيل

. هذه هي الواقعة الفريدة في بابها التي افاض الكتبة في تبيان محاسنها وقد نبَّه الى كل ذلك حضرة المعرب في الحواشي فاعرب عن حسن ذوق ودقة نظر يشهدان لهُ بالمقدرة على النقد كما ان نظمهُ يشهد لهُ بطول الباع في النظم . وقد اطلت الوقفة امام هذا المشهد البديع كي يرى القارئ اي نوع من المحاسن تحتوي منظومة هوميروس فاذا قيل بعد ذلك ان « معاني هوميروس ليست شعرية » فما هي باتري المعاني الشعرية ؟

ستأتي البقية

مطبوعات شرقيَّة جديدة

Le Palais de Caïphe et le nouveau jardin Saint-Pierre des Pères Assomptionnistes au Mont Sion par le **P. Urbain Coppens** O. F. M., *Paris. A. Picard*, 1904, pp. 95, *avec plans et figures*

موقع بلاط قيافا

اين هو موقع بلاط قيافا كبير الاحبار اليهود الذي حكم على المسيح في آلامهِ أهو فوق تلَّة صهيون ليس بعيدًا من باب النبي داود عند كنيسة الارمن الغريغوريين كما ورد ذلك في رحل كثيرين من الزوَّار او هو جنوبيَّ ذلك المكان بجوار المغارة التي اعتزل فيها بطرس الرسول بعد جحوده لربهِ ثلاثًا الواقعة على مقربة من البستان المسمَّى ببستان القديس بطرس ؟ . ذلك جدال علميّ قام بين الآباء الفرنسيين والآباء الصعوديين ليس من شأننا ان نفصلهُ والاب كوبنس الفرنسيسي (او بالحري الاب برنباي

الذي تستّر باسم رصيفهِ) قد وضع هذا الكتاب للدفاع عن الرأي الأوّل واحتجاجهُ لا يخلو من القوّة وانما ينقصهُ شيءٌ من الرقّة والتلطف في الجدال كما ينبغي لمثل هذه الابحاث العلمية فانّ الحقيقة لا تحتاج الى خرق في الكلام بل الى ايضاح البراهين.

L'Abbé Eusèbe Renaudot: Essai sur sa vie et sur son œuvre liturgique, par l'abbé et docteur **A. Villien**, *Paris, Lecoffre*, 1904, in-12, XIV-288

ترجمة المستشرق اوسابيوس رينودو

اوسابيوس رينودو احد مشاهير عصر لويس الرابع عشر ولد سنة ١٦٤٨ من اسرة شريفة اشتهر جدّهُ وابوهُ بانشاء اوّل جريدة افرنسيّة وهي المدعوَّة «غازيت دي فرنس» فلمَّا نشأ الولد تخرَّج في مدارس الآباء اليسوعيين في باريس وانتظم في سلك جماعة الاوراتوريين مدَّة حتى اضطرَّتهُ صحَّتهُ التعينة الى مبارحتها ثمَّ انقطع الى درس اللغات الشرقيَّة كالعبرانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة فدرس آدابها وانتفع من دروسهِ لشرح الاسفار المقدَّسة والنظر في تآليف آباء الكنيسة الشرقيَّة وآثارها الدينيَّة فما عتَّم ان احرز لهُ بين ائمة عصرهِ اسماً طيّباً وضمهُ من المؤلفات النفيسة حتى انَّ الجمعيَّة العلميَّة في باريس جعلتهُ من جملة اعضائها فزيَّن مجلَّتها بعدَّة ابحاث تدل على سعة معارفهِ. لكنَّ رينودو اشتهر خصوصاً في تاريخ الطوائف الشرقيَّة وطقوسها فألَّف تاريخ الكنيسة الاسكندريَّة ونشر اكثر نوافير كنائس الشرق الكاثوليكية وغير الكاثوليكية من روم وموارنة وسريان وقبط وكلدان ونقلها الى اللاتينية وهذه التراجم لفوائدها المتعدّدة ودقّتها لا تزال حتى اليوم كدستور يرجع اليهِ العلماء في درس الليتورجيَّات الشرقية. وقد جرى بين رينودو وعلماء عصرهِ كبوسويت ورينشار سيمون والسماعنة الثلثة مكاتبات وابحاث ومجادلات شرحها مؤلف هذا الكتاب بالتفصيل. فترى من ثمَّ لانَّ نصارى الشرق فضلاً عن المستشرقين يجدون في هذا التأليف عدَّة افادات مهمّة لتاريخ الآداب الشرقيَّة في القرن السابع عشر

Correspondance commerciale: exercices en arabe et en français par Mr **Joseph Harfouch** officier d'Académie, 2e *partie*, Imprimerie Catholique, 1904, pp. 158 et 77

المراسلة التجارية في اللغتين العربيَّة والفرنسيَّة (الجزء الثاني)

هو القسم الاخير من تأليف اصاب لدى ارباب المدارس واصحاب المعاملات

التجاريَّة الحظوى التامَّة فلا نشكُّ ان ينال هذا القسم الثاني منال شقيقهِ . وذلك ليس فقط لبراعة مؤلفهِ الذي عرف بالتجربة عقبات الدارسين وطرائق تلقين التعليم بل لانهُ ايضاً قد سدَّ خللاً عظيماً في الدروس العملية التي يحتاج اليها المتجارون في مراسلاتهم . فالطلبة يجدون في هذا القسم امثلة عديدة جمعها المؤلف من الكتب والمحلات التجاريَّة تقرِّب عليهم هذا الفرع من الكتابة الذي يصعب على من لم يقف على اسراره . وفي مقدِّمة الامثلة جدول الالفاظ والعبارات الواردة فيها بالعربية والفرنسية . على انَّ الفائدة كانت اوفر لو وضع المؤلف في آخر الكتاب قائمة عمومية لكل هذه الالفاظ ليطلبها الطالب في مظانها ولعلهُ لم يفعل خوفاً من زيادة حجم الكتاب . وعلى كل حال نهنئهُ على حسن عملهِ ونتمنى لهُ رواجاً قريباً ل . ش .

شذرات

فاكهة — سُئل المقتطف عن فائدة ثديي الرجل (يريد ثندوتيهِ) فاجاب بما حرفهُ : (ص ٩٢٦) « لا فائدة منهما الان ويحتمل انهما كانا في غابر الازمان كبيرين وكان الرجل يرضع اولاده كما ترضع المرأة اولادها ثمَّ ابطل الرجل استعمالهما لمَّا تفرَّغ للحرب والاعمال الشاقَّة فضعفا رويداً رويداً الى ان صارا اثرين . . » وقد نسي جناب الكاتب البارع ان يفيدنا عن ثندوتي ذكور البهائم افهي ايضاً كانت ترضع اولادها كالاناث ولاي سبب اهملت كلها هذه العادة وربَّما احتاجت الى ذلك . مثلاً عند موت الانثى او مرضها . والصواب ما يقولهُ في ذلك علماء الفزيولوجية وهو انَّ البيضة او النطفة التي يتولَّد منها الحيوان فيها كل الاعضاء بحالة بدائيَّة ومن جملتها الثديان فاذا لُقحت البيضة كانت انثى او ذكراً وبقي الثندوتان في الحيوان الذكر وكبر حجم الثديين في الانثى لاختلاف وظائفها

واغرب من هذا ما جاء في المقتطف عن ماهيَّة الروح قال (ص ٩١١) « انَّ الروح ليس شيئاً يقوم بذاتهِ وانَّما هو نتيجة تركيب الجسم الحيوانيّ الذي يتألف من موادّ واخلاط على نسب مقدورة واوعية واجهزة مخصوصة فمتى تمَّ التركيب هذا على الصورة التي احكم الله صنعها نتج الروح عنهُ فاذا عرض لهذا التركيب فساد فانهُ يعدم الروح » فترى

من هذا التحديد انَّ الروح اي مبدأ الحياة ليس هو الاَّ نتيجة تركيب كيموي لا يختلف عن بقيَّة التراكيب المادّيَّة الَّا ببعض الاعراض ومن ثمَّ ليس هو كما بيَّن الفلاسفة جوهرًا بسيطًا ومبدأ خاصًا مختلفًا عن المادَّة يؤتى الحيوان الاعجم الحسّ والحركة ويبلغ في الانسان الى ان يقوم بذاته لما فيهِ من الافعال المجرَّدة عن الحسّ كاعمال العقل والارادة لا بل ينتج ايضًا عن قول المقتطف ان ليس بعد هذه الحياة ثواب ولا عقاب اذ انَّ الروح تتلاشى بفساد المركَّب الحيواني . وناهيك بهذا القول نقضًا لكل الاديان وفتحًا لابواب كل الآثام

السرعة في العمل قد بلغ بعض اصحاب النشاط في الاصقاع الاوربيَّة الى انجاز اعمال تقتضي شهورًا من الشغل بأيَّام قليلة بل ببضع ساعات . فمن ذلك انَّ اميركيًا اسمهُ ڤندربلت ابتنى بيوم واحد سكَّة حديديَّة حول ارزاقهِ التي لا تقلّ دائرتها عن ميل (١٦٠٩ امتار) — ولمَّا سقط جسر فيوكسبورغ في انكلترَّة اقامتهُ شركة الشمال الحديديَّة باربع ساعات كما كان — والشركة عينها ابتنت جسرًا آخر عند هلفيلد بمدَّة اربع ساعات فقط — وشارطت شركة الشرق الحديديَّة في لندن انها تصطنع في عشر ساعات آلة بخاريَّة فتمَّ العمل وفي مساء النهار كانت الآلة تسحب قطارات تجاريَّة متعدِّدة — فغارت من ذلك شركة الغرب الحديديَّة في لندن فاستبدلت في مدَّة يومين سكَّة العاصمة الحديديَّة الضيقة الاسلاك بسكَّة اخرى واسعة الاسلاك على طول ٤٠٠ كيلومتر — ومن غرائب السرعة انَّ شركة نمسويَّة قطعت اشجارًا كبيرة حوَّلتها الى ورق طبع بساعتين . فكان قطعها الساعة ٧,٣٥ صباحًا ثمَّ بعد إشغال متوالية اخذ الطبَّاعون يطبعون على الورق المتَّخذ من خشبها الساعة ٩,٣٤ والساعة ١٠ كان تمَّ توزيع الجريدة — ومثل ذلك غرابةً انَّ احد ارباب المطابع في الولايات المتَّحدة صفَّ وطبع كتابًا ذا ٣٥٠ صفحة في ثلاثة ايَّام بعد ان طبع منهُ الفي نسخة وجلَّده تجليدًا متقنًا . واغرب من ذلك انَّ عاملًا من عمَّال مطبعةٍ في نيويورك كان في باريس فارسل الى مطبعتهِ نسخة من احدى روايات القصَّاص زولا كان أنجز طبعها قبل توزيعها فما وصلت الى نيويورك حتى نُقلت الى الانكليزيَّة فطُبعت فجُلِّدت فوُزِّعت ولم يمرّ اربع وعشرون ساعة حتى نفدت نسخها العديدة

شفاء حبة حلب كان الدكتور مارين ذكر في مقالتهِ عن حبة

حلب طريقة لشفاء هذه العاهة وقد قرأنا في مجلة الطبيب للدكتور النطاسي اسكندر افندي بارودي انهُ عالج حادثتين منها بتحط القرحة بآلة جراحيَّة محماة قحطاً عميقاً حتى الانسجة الصحيحة ثم كوى القاعدة بالحامض الكربونيكي الثقيل بواسطة قطن مضادّ للفساد ثم بروح القرفة ومرهم الاكثيول فلم يمضِ على المعالجة ثلثة اسابيع حتى نما النسيج الصحي الجديد وذهب الورم والاكمداد من حوالي القرحة وتولد جلد سليم وبقيت ندبة جزئية وقد كانت القرحة الواحدة في الخد والاخرى في جانب الانف. ومما جرّبهُ ايضاً تلقيح الساق بصديد القرحة فتولدت قرحة مثلها زالت بزوال تلك في برهة اقل من اشهر مع انهُ كان قد مضى عليها عدَّة اشهر. وقد ختم الدكتور كلامهُ بقولهِ: فليجرّب اطباء حلب وبغداد ويتكرموا بالافادة عن النتيجة لننشرها

أسئلة وأجوبة

(جواب ثانٍ على سؤال مدرج في العدد ٢٢ من مجلة المشرق)

افادنا جناب ميخائيل افندي عبد البستاني جواباً ثانياً على السؤال الذي عُرض علينا في امر « ام الولد » و « ام البنين » قال ما حرفهُ :

ام الولد تصدق لغةً على الزوجة وغيرها من لها ولد ثابت النسب وغير ثابت النسب وفي عرف الفقهاء اخص من ذلك (البحر لابن نجيم) فكل مملوكة يثبت نسب ولدها ممن يملكها او يملك بعضها كانت ام ولد لمن ثبت نسب ولدها منهُ (عن الخانيَّة) فهي ام ولد لهُ في حياتهِ ينتفع بها كما ينتفع المالك بمملوكه غير انهُ لا سبيل لهُ على بيعها ولا تمليكها من غيره بوجه من الوجوه وهي حرة بعد وفاتهِ (الفتاوي الهندية) فما ذكر هنا وما ورد في الجواب السابق من ان ام البنين كنية بعض شريفات العرب يعلم الفرق بين قول القدماء (ام ولد) و (ام بنين) وهو الفرق بين الامة والحرة

س سُئلنا ما هو « الكفناس » الذي ورد ذكره في بعض المخطوطات العامية دلالة على نبات الكفناس

ج لم نجد ذكراً لهذه اللفظة في المعاجم المطوَّلة التي لدينا كما انهُ لم يعلم بها كل من سألناه عن ذلك. وعندنا انَّ اللفظة دخيلة معرَّبة عن اليونانيَّة كَپنوس (καπνός) ومعناها الاصليُّ الدخان ثمَّ اتُّخذت مجازاً للدلالة على نبات يسمَّى الشاهترج او بقلة الملك وبالفرنسيَّة (fumeterre) وقد أُطلق عليها اسم الكفناس او الدخان لانَّ من يعركها اتَّسخت يده كما تتسخ بالسناج (الشحّار) ل. ش.